المكان في شعر
عز الدين ميهوبي

إعداد الدكتور

محمد عبد الحكيم الفقي

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات الزقازيق

المكان في شعر عزالدين ميهوبي

محمد عبد الحكيم محمد الفقي
قسم الأدب والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق، جامعة الازهر، مصر.
Mohamedelfaky1086.el@zhar.edu.eg

الملخص :
يعد المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص،إذ إن المكان الجغرافي ينبني لغة لتشكيل النص عبر الجمالية المكانية حيث تبرز تعامل الشاعر مع العنصر المكاني وجوانب رؤيته له، والاهداف المتوخاه من ذلك. ولذلك كان الاعتداد بالمكان مدخلا مهما لدراسة النصوص الأدبية والبحث في مرجعياته ودلالاته، وجماليات اللغة الشعرية، فالشاعر يرتبط بالمكان ارتباطا عضويا ونفسيا حميما، ويتواشح مع أبعاده المادية وارتباطاته العاطفية، حتي يصبح هذا المكان هو الوعاء الذي يستوعب ذكرياته وأحلامه، ويجسد لواعجه النفسية ، وعلاقاته الاجتماعية والسياسية المختلفة. ومن هنا جاء اهتمام هذه الدراسة بموضوعة المكان في شعر عز الدين ميهوبي ، التي شكلت ظاهرة بارزة في تجربته الشعرية التي التحمت بالواقع الاجتماعي والسياسي، والديني والوطني المعاصر، وذلك من خلال التعريف بالشاعر حياة وفنا ، والحديث عن المكان مفهوما وتطورا ، وتناول مرجعيات المكان عبر المكانين الجزائرى والعربي ،وكذلك الحديث عن أبعاد المكان في شعره ، مع بيان البناء الفني لشعر المكان عبر البناء اللغوى والبناء التصويرى ،منتهيا بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي تكشف عنها البحث.

الكلمات الافتتاحية: المكان – شعر عز الدين مهيوبي – مرجعيات المكان – البناء الفني .

The place in the poetry of Ezz El-Din Mihubi

Mohamed Abdel-Hakim Mohamed El-Feki, Literature and Criticism Department, Zagazig Faculty of Arab and Islamic Studies for Girls, Al-Azhar University,Egypt.

E-mail: **Mohamedelfaky1086.el@zhar.edu.eg**

Abstract:

The place is the most important element that makes up the beauty of the text. As the geographical location builds a language to form the text across the spatial aesthetic where the poet deals with the spatial element and aspects of his vision of it, and from which the objectives are envisaged. Therefore, regarding the place is considered an important approach to study literary texts and to search in its references, connotations and the aesthetics of the poetic language. The poet is intimately connected, organically and psychologically with the place. In addition, he is interrelated with its physical dimensions and his passionate connections. Thus, this place becomes the container that is filled with his memories and dreams. It embodies his psychological troubles, and the various social and political relations. Consequently, this study has an interest in the subject of the place in the poetry of Ezz El-Din Mihubi which shaped a prominent phenomenon in his poetic experience connecting to the contemporary social, political, religious and national reality. Therefore, I outline the poet's life and art and describe the place in terms of conception and

development. Also I deal with the references of the place through the Algerian and the Arab places and talk about the dimensions of the place in his poetry. At the same time, I demonstrate the artistic composition of the poetry of the place through the linguistic structure and the fictitious composition. I conclude with the most prominent results which the study reveals.

Key words: The Place, The poetry of of Ezz El-Din Mihubi, References of the Place, Artistic composition

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، منزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام علي أفصح المرسلين ، سيدنا محمد الرسول الأمين ، وعلي آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد ...

فالمكان له حضور قوي وفاعل في النفس الإنسانية، إذ يرتبط بوعي الإنسان منذ نعومة أظافره ، ولا ريب في ذلك ؛ فهو الركن الأساسي الذي يمارس فيه تكوينه الحياتي ، وبعد أن تتفتح مداركه ، يبدأ بتجديد أبعاده المكانية من خلال حياته العملية، إلي ان ينتهي به المطاف إلي مكانه الأخير.

ومن هنا كان الإحساس بالمكان إحساسًا فطريا، ومتأصلاً في النفس البشرية ، ويشترك فيه جميع الناس ، والمكان أكثر التصاقًا بحياة الإنسان ، وإن إدراك الإنسان للمكان إدراك حسي مباشر يستمر معه طوال عمره [١]، مما يكسب المكان أهمية خاصة، لأنه يؤدي دورًا يسهم مع عناصر أخري كالشخصية ،والبيئة الاجتماعية ، والثقافية ، في تكوين السلوك الإنساني[٢] .

وقد مثل المكان عنصرًا مهما وأساسيًا من عناصر العمل الأدبي الذي يسعي بدوره إلي إبراز هوية ذلك العمل من التصاقه بشخص العمل الأدبي ، الذي لا يستطيع الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال.

والشاعر ميهوبي شاعر مغرم بالمكان ، وله علاقات وطيدة سواء في أرضه ، أو في بلاد عربية أخري، كبيروت ، وفلسطين ، والعراق ، والفردوس المفقود "الأندلس" ، فنراه يستدعي العديد من الأمكنة والمواضع ، ويتغني بها في شعره ، مما يدل علي شدة التصاقه بالمكان، والانتماء الشديد الذي تظهره نفسه للمكان ، وحلمه الذي أصبح يراوده ، وكان لهذا دلالات خاصة أراد الشاعر أن يثيرها في نفسه ، ونفس المتلقي.

---

(١) خصوصية التشكيل الجمالي في أدب طه حسين ، د. نبيلة إبراهيم ص ٤٩ ، ٥٠ ،ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

(٢) الزمن والمكان دراسة سيميائية ، باسم الشريف ، ص ٤٩ ، ط. دار المعارف القاهرة.

ولهذا وقع اختياري علي موضوع (المكان في شعر عز الدين ميهوبي) لأتتبع تلك الدلالات التي أرادها الشاعر من خلال استحضاره للمكان في شعره، محاولاً إضافة جديدة في مجال دراسة الأدب الجزائري، خاصة أنني لم أجد دراسة – فيما أعلم – عن المكان في شعر عزالدين ميهوبي.

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث علي المنهج التكاملي الذي يجمع بين الوصف والتحليل ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أجعله في ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد ، وتعقبها خاتمة ، ثم فهرس للمصادر والمراجع.

التمهيد: وجعلت عنوانه " عز الدين ميهوبي سيرة حياة " وتحدثت فيه عن حياته ومكانته ، وآثاره الأدبية ، والمجتمعية.

- **المبحث الأول**: وجعلت عنوانه " السياق المعرفي للمكان المفهوم والتطور"وتحدثت فيه عن مفهوم المكان لغويًا وفنًيا ، وأهميته عبر العصور ، وما يحمله من رؤي نفسية عبّر عنها الشاعر العربي عبر نصه الشعري.

- **المبحث الثاني**: وجعلت عنوانه "مرجعيات المكان في شعر عزالدين ميهوبي " وتحدثت فيه عن مرجعيات المكان في شعره عبر ثقافته، وتطلعاته، ورؤاه الفنية من خلال المكان الجزائري والمكان العربي.

- **المبحث الثالث**: وجعلت عنوانه " أبعاد المكان في شعر ميهوبي " وتحدثت فيه عن: **أولا:** البعد النفسي والاجتماعي من حيث العزة والإباء ، وتفاعله مع هموم الوطن . **ثانيا:** تحدثت عن البعد الوطني والسياسي من حيث جعل الأوراس معادلاً موضوعيًا لحب المكان والتمسك به ، والدفاع عنه ، كما تتبعت الأحداث السياسية ، ورصد التغيرات التي مر بها الوطن .

وثالثا: تحدثت عن البعد التاريخي والديني، من حيث سعي الشاعر للارتباط بالجذور، والارتكاز علي الماضي والحاضر في تمثل تاريخ الأمة.

المبحث الرابع: وجعلت عنوانه " البناء الفني لشعر المكان عند عز الدين ميهوبي" وتحدثت فيه عن: **أولا:** البناء اللغوي لشعر المكان من حيث رمزية اللغة وإيحائها ، واستدعاء أقوال السابقين ، والتكرار اللغوي الذي يغني المعني ويضاعف من موسيقي الكلمة ، وكذلك المعجم الشعري وما يمثله من بنية أساسية في شعر ميهوبي.

ثانيا : المكان والبناء التصويري ، وتحدثت فيه عن قيمة الصورة وتنوعها بين الصورة التشبيهية ، والاستعارية ، والكنائية، والرمزية ، وأثرها في تشكيل المكان الجغرافي كرمز للحب والانتماء المكاني ، ودورها الفعال في تعميق الإحساس بالمكان في شعر ميهوبي ، وكعنصر أساسي في الصورة الشعرية.

ثم أنهيت هذا البحث بخاتمة تضمنت أبز النتائج التي أسفر عنها هذا البحث .

ولست أدعي الكمال لهذه الدراسة فالكمال لله وحده ، وإنما أنا بشر أصيب وأخطئ، وللمجتهد أجران إن أصاب ، وأجر واحد إن أخطأ.

الله أسأل أنال الأجرين ،وأن أكون ممن يجتهد فيصيب ،غنه سميع مجيب.

التمهيد
عز الدين ميهوبي " سيرة حياة "

الشاعر عز الدين ميهوبي أحد الأسماء البارزة في سماء الأدب الجزائري، وقد تميز بإسهاماته الشعرية المتنوعة، فقد ولد عام ١٩٥٩م، بعين الخضراء ولاية المسيلة، ثم التحق بالمدرسة الوطنية للإدارة وتخرج فيها سنة١٩٨٤م ، واحترف الصحافة منذ الثمانينيات وشغل منصب رئيس تحرير جريدة الشعب الوطنية من (١٩٩٠ -١٩٩٢م)، وأنشأ مؤسسة إعلامية ، وأدار الإعلام والبرامج المتخصصة في التليفزيون الجزائري حتي عام ١٩٩٧م، ثم انتخب رئيسًا لاتحاد الكتاب الجزائريين عام(١٩٩٨-٢٠٠٣م) ، وعندما استحدث منصب رئيس اتحاد الكتاب العرب، كان شرف الرئاسة من نصيب الجزائر ممثلة في شخص الشاعر عز الدين ميهوبي، ثم مديراً عاماً للإذاعة الجزائرية عام ٢٠٠٦م ، وشارك في عدد من الملتقيات والندوات الأدبية في عدة عواصم عالمية ، منها الرياض ، والقاهرة ، وطرابلس ، وبغداد ، وطهران ، وبيروت ، ودمشق ، وإيطاليا.

حصل علي جائزة الدولة الوطنية للشعر عام ١٩٨٢م ، والجائزة الأولي للأوبريت عام ١٩٨٧م ، والجائزة الأولي لأفضل نص مسرحي محترف ١٩٩٨م ، وتناول في قصائده هموم الإنسان في الجزائر، وفي العالم العربي، وتحدث عن السجن والحرية، والحنين للوطن، وبيان مكانته وقدسيته التي تنتشر في معظم إبداعاته الأدبية ، ونعت المنفي والاغتراب، وحث الشعب الجزائري للبدء بخطوته الأولي نحو الحرية ، ورفع صوته بالكلمة الحرة لكسر الصمت المطبق ، وعدم الوقوف محايدا تجاه حقوقه في حياة كريمة مفعمة بالعدل والديمقراطية، معبراً عن ذلك بقوله:

جزائر يا نبضة من شموخي ويا بسمة طلعت من دجاي

جزائر يا نغمة في فمـــي ويا ألقا طالعًا من دمـــي

ويا جنة جئتها فرحـــا كطفل بأحضانها يرتمي[1]

أصدر عددًا من الأعمال الشعرية والمسرحية منها: في البدء كان أوراس سنة ١٩٨٥م ، وفي سنة ١٩٩٧م صدر له ديوان اللعنة وديوان الغفران ، وديوان ملصقات، وديوان النخلة وديوان المجداف ، وديوان الشمس والجلاد ، وديوان خالدات "نصوص تمثيلية "، سيتيفيس (نص أوبريت)، وحيزية (نص أوبريت) ، وشمعة إلي وطني " شعر مترجم للإنجليزية عام ١٩٩٨م ، كاليغولا يرسم غرنيكا الرايس شعر مترجم إلي الفرنسية والإنجليزية عام ٢٠٠٠م ، عولمة الحب عولمة النار " ديوان شعر عام ٢٠٠٢م ، وغيره من الإبداعات الشعرية والروائية .

وقد مكنه الجو الإعلامي الذي عمل فيه من الاطلاع المباشر علي وقائع الناس، وأفراد مجتمعه الذين يشكلون شخصياته في أعماله الأدبية[2].

(١) اللعنة والغفران ، عز الدين ميهوبي ، ص ١٦ ، منشورات أصالة طبعة أولي س ١٩٩٧م.

(٢) مجلة الموقف الأدبي – اتحاد الكتاب العرب بدمشق العدد ٣٩٧ آيار عام ٢٠٠٤م.
ينظر الموقع الرسمي لعز الدين ميهوبي:

www.azzedinemihobi.com

المبحث الأول
السياق المعرفي للمكان (المدلول والتطور)

أولا : مدلول المكان لغة وفنا :

للمكان مفاهيم ودلالات مختلفة لعلها تتضح إذا ما توقفنا عند ماهيته لغوياً ، وصولاً إلي معانيه الاصطلاحية المختلفة .

وفي الوقوف علي حدة اللغوى جاء في لسان العرب: "المكان : هو الموضع ، والجمع أمكنة ، وأماكن جمع الجمع ، وهي تحت الجذر "مكن" ، وذلك بمعاملة الميم الزائدة علي معاملة الأصلية ، لأن العرب تشبه الحرف بالحرف ، كما قالوا : منارة ومنائر ، فشبهوها "بفَعالة" من النور ، وكان جمعه "مناور" .[١]

كما يرى أيضا أنه مشتق من الجذر (كوَن) مدللا علي ذلك بأقوال العرب ، وهو ما ذهب إليه الزبيدي مستشهدا بقول الليث : "المكان اشتقاقه من كان يكون ، ولكنه لما كثر من الكلام صارت الميم كأنها أصلية" .[٢]

ولما كان عند المتكلمين هو "السطح الباطن المماس للجسم المحوي ، وهو علي نوعين : خاص ، فلكل جسم مكان لشغله .ومشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر" .[٣]

وهكذا نجد أن انتساب المكان لغويا إلي الجذر "كون ، وكان" واشتقاق منهما ، يعطيه كثيرا من الشحنات الدلالية الإضافية ، ويخرجه من تسطحه وفقره الدلالي الذي يمكن أن يقفز إلي الذهن من خلال التعامل الأوّلى مع المفردة" .[٤]

---

(١) لسان المعرب لابن منظور . ط دار صار بيروت (مادة مكن) .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموسي للزبيدي مادة (مكان) . تحقيق د. حسين نصار ط الحكومة الكويتية عام ١٩٧٤م .

(٣) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، علي عبد المعطي محمد صـ ٢٢٨ ط دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية عام ١٩٨٤م .

(٤) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر د. صلاح صالح صـ ١١ دار الشرقيات للنشر والتوزيع القاهرة ط أولى عام ١٩٩٧م .

فالمكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني ، لأنه حاضن لهذا الوجود ، حيث يختزل عددا كبيرا من التصورات وشحنات الوجود ، "فهو الحاوي أو الكائن سواء أكان مدركا بالحواس أم بالتصور الذهني" . (١)

أما المكان فنيا : ففي ظل التطور الأدبي والنقدي وجهت الدراسات الأدبية الحديثة أنظارها نحو المكان في النصوص الشعرية ، علي أنه" فضاء تتعدد وظائفه ومعانيه بالنسبة لصاحبه وللآخرين ، وكل اعتداء علي جزء منه يولد ثورة واحتجاجا".(٢)

ومثل هذا التعريف يطلق المكان من قيده إلي عدة تصورات دلالية معرفية وجمالية ، فيتسع المفهوم ليدل علي مفاهيم عميقة وشاملة تبدأ من أصغر مساحة يتخيلها الإنسان إلي أقصى ما يمكن أن يكون عليه الكون العظيم ، فالنقطة مكان ، والكون نفسه مكان ، وجميع ما بينهما مكان . (٣)

فالمكان موضع الكون وجميع الكائنات الحية ، حيث يعد "الوجه الأول للكون وهو محور الحياة الذي تحتاجه الكائنات ، وتتموضع فيه الأشياء ، ومنحها أشكالا محددة" . (٤)

فقد تطور المفهوم ، وتوسعت دلالاته فلم يعد مجرد حاضن لهذه الكائنات ، بل أصبح فاعلا يؤثر فيها ، فيصبح كل من الإنسان والمكان مندغما في الآخر ، يسكن فينا كما نسكن فيه ، وتبدوا علاقته بالإنسان

(١) نظرية المكان في فلسفة ابن سيناء د. حسين العبيدي صـ ١٧ دار الشئون الثقافية العامة مصر .

(٢) فلسفة المكان في الشعر العربي حبيب مؤنس صـ ١٠ منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق سنة ٢٠٠١م .

(٣) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر د. صلاح صالح صـ ١١ ، دار شرقيات للنشر والتوزيع القاهرة ، ط أولى سنة ١٩٩٧م .

(٤) جدل الزمان والمكان في روايات ، عبد الرحمن منيف د. أحمد مرشد عدد ٢٢ صـ ٥٦ مجلة بحوث جامعة حلب سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية .

علاقة، وطيدة وأزلية ، "تبدأ من لحظة ميلاده فتتناسى وتتجذر أحيانا ، وتتخذ معادلات ذهنية ونفسية تنعكس في المعادلات الفنية" .[١]

فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة وثيقة محكومة بالخبرة والتجربة ، وعلاقة متينة ومتبادلة لا تنتهي.

من هنا يشتمل المكان علي حالات معرفية ، ووجدانية ، إذ لابد "من وجود الإطار الخاص بالعلاقة والمعنى والانتماء ، وهو الإطار الذي يخلعه الشخص علي المكان ، ينسبه إلي نفسه أو ينسب نفسه إليه ، فالمكان إضافة إلي خصائصه الطبيعية والجغرافية المميزة ، لابد أن ينظر إليه علي أنه تكوينات وبني أو حالات معرفية ووجدانية ، تكون موجودة لدى الأفراد والجماعات" [٢].

وفي الأدب أصبح الأديب – شاعرا كان أم كاتبا– يؤنس بالمكان ويخلع عليه المشاعر والأحاسيس والعواطف ، لأن المكان وثيق الصلة بالحالات النفسية،" والفنان يؤنسن تجليات العالم الخارجي ويدخلها إلي عمله الفني ، ويدعها تقوم بدورها الإنساني الجديد ، لتسهم في خلق المناخ العام الذي يطمح أن يحققه ، ليجعلها تتجاوز مع الإنسان ومشاعره وأفكاره كي تشاركه المعاناة والفرح في الحياة". [٣]

ولأن المكان يسكن في أعماقنا ، ظل الأديب يخلع عليه المشاعر والأحاسيس الإنسانية المختلفة .

فتناسى التجربة النفسية والوجدانية يعطي المكان أبعاداً جمالية خاصة تجعل علاقة الإنسان بالمكان والجمال في جدلية واضحة "تبدأ معه منذ تفتح

(١) جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية عبدالحميد محادين ص٤٦ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت .

(٢) الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري . شاكر عبد الحميد مجلة فصول مجلد ٣ عدد ٤ ص٢٥٠ سنة ١٩٩٥م .

(٣) أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف ، أحمد مرشد صـ ٨ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية .

الأحاسيس والوجدان وتنمو هذه العلاقة باضطراد فيستجيب لنقلاته المعرفية والروحية" . [1]

والأديب له الدور البارز في هذه العلاقة ، ولكي يصبح المكان مؤثرا في العمل الأدبي يجب أن يكون له دلالة تحاكي شيئا ما في نفس الأديب أو في الذرات الاجتماعية .

وعليه فإن المكان في الأدب مكان أثير ، لأنه منبثق من الوجدان ، ويثير في النفس ذكريات الأهل والأحبة ، ويبعث في الذات الأمل بعد ما غمرها اليأس والحرمان.

ثانيا : المكان(التطور) :

يعد المكان إحدى العناصر والمكونات الأساسية والمهمة في العمل الأدبي ، وذلك لما يحمله من أبعاد جمالية ، تسهم في بلورة مجرى الأحداث وبناء الشخصيات ، فالمكان لا يقف في كونه حيزا أو مجالا تتحرك فيه الشخصيات فحسب بل يتعدى إلي أبعد من ذلك ؛ إذ أصبح يحمل دلالات وإيحاءات تشير إلي القصد والمعنى الذي يحتويه النص سواء كان هذا النص شعرا أم نثرا ، وبصورة أخرى أصبح وسيلة تعبيرية تعكس لنا العلاقة القائمة بينه وبين الإنسان .

لذلك كان المكان بالنسبة للشاعر أرضا خصبة للتعبير عما يجول في خاطره ومشاعره مما جعله يتحول إلي عرض خاص لتلبية الدواعي والمواقف الكافية في نفسيته ، يرسم فيه أبعاده النفسية والاجتماعية التي تحمل في طياتها معالم ودلالات مختلفة تتم فيها عملية التذكر والتخيل التي تجعل القاري يتعرف علي العلاقة القائمة بين المكان والشاعر ، لأن دراسة المكان محطة لا تخلو من أهمية في التجربة الفنية ، وإن شاع عند بعض

(١) مجلة أفكار : الفنان المكان الذات والآخر محمد أبو زريق عدد ١٣٥ – ١٣٧ صـ ١١٥ سنة ١٩٩٩م .

الدراسين أنها "ارتبطت بالتحليل الروائي أساسا ، لكون المكان هو المجال الذي تجري فيه أحداث القصة". [1]

إلا أن هذا الرأي لم يستمر فقد تهدمت تلك الأسوار والحواجز التي وضعها بعض النقاد بين فنون الأدب .

ولم تعد دراسة المكان مرتبطة بالقصة فحسب ، بل التفت الدرس الأدبي إلي المكان الشعري وغيره من فنون الأدب ، وهو مصيب لأننا "لا نعرف أثراً فنياً متداولا ذا شهره ، يخلو بشكل أو بآخر من سمات الظواهر الجغرافية البارزة ، من معالم الضوء ، واللون ، والظلال ، ومن تنوع العناصر والأشكال ، ونماذج الحيوان والبنات [2] " إذ إن تفاعل الشاعر مع المكان أخذا وعطاء ، متأثرا به مؤثرا فيه .

من هذا المنطلق كان حضوره في النصوص الأدبية خاصة الشعرية منها حضورا طاغيا ، فالمتصفح للشعر العربي يلاحظ مدى ارتباط الشاعر ببيئته وتأثره بها .

لذلك كان المكان بالنسبة للشاعر أرضا خصبة للتعبير عما يحول في خاطره ومشاعره مما جعله يتحول إلي غرض خاص لتلبية الدواعي والمواقف الكامنة في نفسيته ، يرسم فيها أبعاده النفسية والاجتماعية ، التي تحمل في طياتها معالم ودلالات مختلفة تتم فيها عملية التذكر والتخيل التي تجعل القارئ يتعرف علي العلاقة القائمة بين المكان والشاعر ، حيث أصبح الشعر الذي يتعلق بالمكان فكرا للمجتمع يجري في وجدان الأمة جريانه علي الألسنة.

والمتصفح للشعر العربي القديم يجد أن المكان حظى باهتمام الكثير من الشعراء وذلك لاحتلاله مكانة مرموقة وكبيرة في حياتهم الاجتماعية والنفسية .

---

(٢) فلسفة المكان في الشعر العربي حبيب مؤنس صـ ٧ ط اتحاد الكتاب العربي عام ٢٠٠٧م .

(١) الشعر والبيئة في الأندلس ميشال عاصي صـ ٨ ، ٩ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط أولي عام ١٩٧٠م .

ففي العصر الجاهلي: نجد من الشعراء من يبكي ويتحسر علي المكان والمجتمع الذي كان يعيش فيه ، ومن هؤلاء: النابغة البياني [1] الذي يبلغ به الشوق والحنين مداه حين يصبح كهلا ، وقد تقدمت به السنون ، فيقف علي ديار محبوبته التي كانت يوما من الأيام مسرح شبابه وصباه ، فيعتريه الهوى بعد أن استجهلته هذه الديار التي غيرتها عوامل الزمن وكأنها لا تعرفه ، فيسألها عن محبوبته سعدي فلا تجيبه ، نظرا لبعده عنها سبع سنوات كاملة ، إذ يقول :

دعاك الهوي واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل

وقفت بربع الدار قد غير البلي معالمه والساريات الهواطل[٢]

فنحن أمام حنين جارف إلي الانتماء للمكان / منازل المحبوبة ، بدا الشاعر فيه مسكونا بهاجس مؤرق ، هو هاجس التواصل مع المكان بعد أن تغيرت معالمه بفعل عوامل الزمن ، فأصبحت هذه الحوادث "تعبر عن نفسيته من خلال استدعائها من مخزون ذاكرته بحيث تشكل في النهاية معادلا مساوقا لتجربته الشعرية".[٣]

وفي صدر الإسلام : اصطبغ المكان بالطابع الديني ، وتطهر من التعصب القبلي ، بل أصبح حب المكان ، من مكملات الإيمان ، كما توسعت نظرة المسلم إلي المدن والأماكن الإسلامية فهي كلهاأوطان ، بعدما كرس

---

(٢) النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة .. بن قيس بن عيلان بن مضر ، يكني بأبي أمامه ، وهو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين علي سائر الشعراء . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣٧٨٩/١١ ط الشعب عن ط ، دار الكتب .

(١) ديوان النابغة الذبياني صـ ١١٣ صنعة ابن السكيت ت.د شكري فيصل ط دار الهاشم بيروت سنة ١٩٨٦م .

(٢) الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي علي الغريب محمد صـ ٥٩ مكتبة الآداب القاهرة سنة ٢٠٠٣م .

الإسلام مفهوما جديدا وأوسع للانتماء ، ألا وهو الأمة وهذا لا يلغي التعلق بالمكان الأم ، فذاك أمر فطري قد جبلت عليه النفوس .

وانطلاقا من تعاليم السماء رأينا النبي - ﷺ- محبا للمكان الذي نشأ فيه أولا في هجرته من مكة إلي المدينة قائلا عن مكة : "والله إنك لخير أرض الله إلي الله ، وأحب أرض الله إلي الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت".(١)

وكان- ﷺ- يرى وطأة الحنين إلي مكة بادية علي أصحابه أيضا ، فيدعو لهم : "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد" (٢) ، ويستجيب الله دعاءه ، ويتعلق الصحابة بالمدينة لاعتقادهم أنها مباركة ، فهي التي أوت النبي – ﷺ- في محنته وهو حي ، كما احتضنته ميتا، وفيها من معالم الإسلام آثار كثيرة، قال فيها حسان بن ثابت :

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمدُ

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء به ويوقد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد(٣)

فالشاعر يعلن بصدق عن انتمائه لهذا المكان العامر بقبر الرسول ﷺ وحجراته التي كانت مهدا للوحي ، وقبره المبارك الذي أصبح مزارا للأمة الإسلامية إلي قيام الساعة .

---

(١) أخبار مكة للأرزقي ١٥٥/٢/٢ تحقيق رشدي الصالح ملحس ط دار الثقافة مكة ط ثانية سنة ١٩٦٥م .

(٢) جواهر البخاري وشرح القسطلاني – مصطفى عمارة صـ ٢٠١ ط دار الفكر بيروت.

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت عبد الرحمن البرقوقي صـ ١٤٥ دار الأندلس بيروت لبنان ط ثالثة عام ١٩٨٣م .

وفي العصر الأموي:تغير وجه التاريخ الإسلامي ، ودبت الفرقة بين المسلمين وأصبحوا فرقا وجماعات ، وما كان الشعر ليتخلف عن مجارات هذه الأحداث ، فقد نشط الشعر السياسي والعربي بنوعيه بفعل التنافس علي الحكم ، وما أغدقته الخلافة الأموية علي الشعراء والرعية في تجاوز الحديث عن السياسة ، وإشغالهم بمباهج الدنيا ، إلا أن حب المكان تثيره الغربة والفراق ، ويؤججه الحرمان ، ها هو ذا عبيد الله بن قيس الرقيات [1] يعبر عن مرارة التشتت والضياع ، وما يضطرم في نفسه من مشاعر الشوق والحنين إلي بلده الحجاز ، الذي لم يجد في غربته عوضا عنه ، فيعلن عن تذمره وسخطه علي هذه الحياة التي يحياها في غربته ، وتبدل الحال به من النعيم إلي التشرد والضياع بعد مقتل ابن الزبير علي يد بني أمية فيسأل – عن أماكن صباه التي طالما راح إليها وبكر- الطلول وحوران فلا تجيبه ، فيركن إلي الاستبطان الذاتي ليسلى نفسه في غربته ، ويخرج بها من وحدتها ، إذ يقول :

كل يوم ألقى ابن شانئه ليس عن الشر ما استطاع بآلي

حوله قومه وقومي بأرض حرم دونهم حنين الشمال

أقفلت منهم الفراديس فالغو طة ذات القرى وذات الظلال

فضمير فالماطرون فحوران قفار بسابس الأطلال

لم تجبني منها الطلول ولم أملك دموعا تسيل كالأوشال

(١) عبد الله بن قيس الرقيات : هو أبو هشام عبيد الله بن قيس بن شريح، قرشي الأب والأم ، والرقيات لقب له ن كان يتشيع لابن الزبير ، وله غزل جيد ، توفى سنة ٨٥ هـ ، الأغاني ١٥٧/٤ ط دار الكتب.

وتذكرت معشري وهم كانوا ملوكا في سالف الأحوال [1]

فهذه النفثة الحارة ساقها ابن الرقيات من الصور الحزينة القائمة علي المقابلة النفسية اليائسة ، لإبراز ما أصابه في غربته من التشرد والهوان .

وفي المقابل قد يأتي المكان مذموما غير محبذ عندما يكون مصدرا للوحشة وعدم الراحة النفسية لدى الشاعر ، ها هي ذي" الأنصارية بنت مخرمة" تنظر إلي مدينة دمشق نظرة مذمومة حيث تجعلها مرتعا للجبابرة من بني أمية ، وقبرا لكل معارض يقف في وجه معاوية بن أبي سفيان كحجر بن عدي [2] الذي فتك به معاوية ، وقد خلدت هذه الأنصارية الوجه الآخر لمدينة دمشق بأبيات تقول فيها :

ترفعت الجبابرة بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد له مُحولا كأن لم يحيها مزن مطير

ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك العلاقة والسرور

أخاف عليك سطوة آل حرب وشيخا في دمشق له زئير[3]

إن علاقة الإنسان بالمكان ليست علاقة سهلة ، بل هي معقدة وتنطوي علي جوانب شتي، فهناك أماكن جاذبة تساعدنا علي الاستقرار وأماكن

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات صـ ١١٣ ، ١١٤ تحقيق د. محمد يوسف نجم ط دار صادر للطباعة والنشر سنة ١٩٥٨م . شائنة : مبغض ، آلي : مقصر ، الفراديس : موضع بالشام ، ضمير ، الماطرون ، حوران : كلها مواضع .

(٢) حجر بن عدي : أحد المعارضين الشيعة الذين قتلوا علي يد معاوية ، وكان يسكن الكوفة . الكامل في التاريخ محمد بن عبد الواحد الشيباني ٣٣٦/٣ تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثانية ١٩٩٥م .

(٣) الأغاني للأصفهاني ٩٥/١٧ ، ٩٦ تحقيق لجنة من الأدباء ط دار الثقافة لبنان ط دراسة سنة ١٩٨٣م . الخورنق والسدير : قصران ، محولا : المحل : الجدب ، وهو انقطاع المطر ، ويبس الأرض من الكلأ .

طاردة ، "فكما أن البيئة تلفظ الإنسان أو تحتويه ، فإن الإنسان – طبقا لحاجته – ينتعش في بعض الأماكن ، ويذبل في بعضها.." [١] بعد أن حرم الانطلاق وقعت حريته ، وأصبح المكان موسوعا بالغدر والتقلب .

فالوعي بالمكان أصبح علي درجة كبيرة من النضج دونما إقصاء للبدوي والحضري ، وأصبح للمكان دلالة التفوق والكثرة ، فلا نفاجأ إذا وجدنا شاعرا فحلا كجرير بن عطية يصف نفسه "بأنه مدينة الشعر" [٢] وهو من شعراء بني أمية المبرزين.

وفي العصر العباسي : أصبح الشعور الحضري خالصا من البداوة ، فقد سكن شعراء العرب العواصم والمدن ، واستبدلوا بشظف العيش وعصبية البداوة غضارة الحضر ورقة المدينة المترفة ، فعاشوا في أوساط جميلة لم تبخل عليها السماء بما بخلت به علي الوسط الطبيعي الذي نشأ فيه أدب القصور السابقة . [٣]

كما كثرت القصائد الشعرية المتكاملة البناء التي ترسم صورة المكان بأبعاده الحضارية المختلفة ، وترصد جمالياته عبر أنسنته وتشخيصه ، فإذا به ينطق عن التطور الحضاري الذي شهده العصر العباسي ، مما كان له الأثر الكبير في صقل الذوق العام وتهذيبه ، فانعكس ذلك علي ذوق الشاعر، فجعله ملتصقا بالحياة الحضارية المستقرة .

وهذا بدوره وطد علاقة التواصل والتلاحم بين المكان وإحساسات الشاعر ، بما تجسده من مخيلة بارعة تفيد صياغة الموصوف باندماج الذات/ الشاعر بما تضيفه إلي هذه الموصوفات من صور فنية ، ولوحات رائعة تنطق بالرؤية الحضارية المزدهرة في هذا العصر، ها هو ذا ابن

---

(١) مشكلة المكان الفني يوري لوثمان ترجمة سيزا قاسم دراز مجلة ألف العدد ٦ص ٨٣ القاهرة .

(٢) جرير مدينة الشعر ، حسين الشيخ الفاتح صـ ٩ . دار الجيل بيروت لبنان د.ت .

(٣) الخيال الشعري عند العرب – ابو القاسم الشابي صـ ٥٣ الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٣م .

الرومي يصف مدينة حلب وما فيها من القصور التي تعبر عن تفاعله مع المكان ، إذ يقول:

أشد بأيامنا لتشهرها وقل بها معلنا لتظهرها

من حلب الصنع أن تبادر بال نعمة موليكها فتشكرها

عاج بنا مائلا إلي حلل قصور ملك له تخيرها

أحكم إتقانها بحكمته وشاد بنيانها وقدرها[1]

فالشاعر يجعل من مدينة حلب بحللها الزاهية ، وقصورها المتخيرة المتقنة البناء وقد ارتفعت إلي كبد السماء ، لوحة فنية غنية بالعناصر الجمالية المكانية ، مما يكشف عن عمق ارتباطه بها ، ويبرز إحساس الشاعر بجمالها .

ومن هنا كانت علاقة الشاعر العباسي بالمكان ، نابعة من علاقاته مع محتوياته، وموجوداته الطبيعة والإنسانية في الزمن الماضي .

وتزداد التجربة خصوبة إذا كان البعد عن المكان قسرا ، كغربة أبي الفراس[2] في سجنه ، إذ يقول :

إن في الأسر لصبّا دمعه في الخد صبُّ

(١) ابن الرومي :علي بن العباسي بن جريج يكني أبا الحسن وهو من أشعر أهل زمانه بعد البحتري، مقدم في الهجاء علي أهل زمانه ، كثير الطيرة ،ت ٢٨٣ هـ وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٣٨٥ ، ت د. إحسان عباس ط دار صادر بيروت عام ١٩٦٨م .

(٢) أبو فراس الحمداني : الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني ، ابن عم سيف الدولة الحمداني ، شاعر وفارس، أسرته الروم في إحدى المعارك ، ولبث في الأسر سبع سنوات ، قتل عام ٣٥٧هـ الإعلام للزركلي ١٥٦/٢ .

هو في الروم مقيم وله في الشام قلب

مستجدا لم يصادف قصور ملك له تخيرها

أحكم إتقانها بحكمته عوضا ممن يحب[١]

فقد غدا المكان / الشام لدى الشاعر مستودعا للحنين إلي الزوجة والولد والأمن والدعة ، مما يدل علي أن الشاعر العباسي قد بلغ قمة تفاعله مع المكان خلال هذا العصر ، ويؤكد ذلك قول أبي تمام :

كم منزل في الأرض يألفه الفتي وحنينه أبدا لأول منزل[٢]

وفي العصر الأندلسي : بدا المكان مهما في تشكيل القصيدة عند شعرائه ، فالمكان عندهم لم يعد ذلك البعد الجغرافي ذا الحدود المتعارف عليها ، وإنما أصبح له بعد تجريدي يشع بالعديد من الإيحاءات والانعكاسات التي تتيح للشاعر أن ينطلق من خلاله إلي عالمه الفسيح المصاحب للخيالات والأحلام والذكريات ، إذ من خلال المكان يستحضر الشاعر آلامه وآماله ، وأفراحه وأتراحه ، فيحيا فيه مرة أخرى في بيت من الشعر لا يدركه البلى ، ويبقى ذاكرة خالدة بكل ما حواه من ضروب الحياة المختلفة "فالمكان ، يتشكل دائما ويتلون وفق الحالة الإنسانية" [٣] مما يبين تمسك الشاعر الأندلسي به ، وتردده في شعره ، مما يبقى في مخيلته دلالات خاصة تثري المكان وتنقله من عالم إلي عالم آخر .

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ، صـ ٣٠ رواية ابن خالوية دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٧٩م .

(٢) شرح ديوان أبي تمام للخطيب القزويني ٢٩٠/٢ قدم له ووضع هوامشه راجي الأسمر دار الكتاب العربي بيروت ط ثانية عام ١٩٩٤م .

(٣) ماهية المكان لدى شعراء الجنوب ، عبد الرحمن حمادي – مجلة الباحث عدد ٢٣،٢٢ السنة الرابعة صـ ٢٧٧ ، صـ ١٩٨١م .

ها هو ذا المعتمد بن عباد [1] بعد أن زال ملكه علي أيدي المرابطين ، نجد أن المكان يشغل فؤاده ، ويغمره ، ولا تكاد صورته تفارقه ، فنسمعه وهو يحلق في فضاء مكانه الحبيب ، ويسبح في ذكرياته ، ويتمنى بكل لوعة لو استطاع أن يبيت ليلة واحدة في قصره ، أمامه وخلفه روضة وغدير ، حيث يغني الحمام ، وتصدح الطيور، إذ يقول :

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير

بمنبته الزيتون مورثة العلي يغني حمام أوترن طيور

ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده غيورين والصب المحب غيور

تراه عسيرا ويسيرا مناله ألا كل ماشا الإله يسير

قضى الله في حمص الحمام وبعثرت هنالك منا للنشور قبور[2]

إن رغبة الشاعر في الانطلاق نحو التحرر والانعتاق من الأسر ، والهروب ولو بالأحلام جعلته يلجأ إلي ذلك عن طريقها حتى وإن كانت عسيره المنال .

فنفسه تتوق بشدة إلي مكانها الأول حيث الروضة والغدير،وشجر الزيتون الذي يرمز به إلي قيمة المكان عند العربي والارتباط به ، وغناء الحمام ، وترنيمة الطيور ، مما جعل الغيرة تدب بين قصوره ، معبرا عن الحب المتبادل بين الأماكن عن طريق مخيلته الشعرية ، وإن كان طريق

(١) المعتمد بن عباد :محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد المعتمد علي الله شاعر وأديب ، وملك إشبيلية ، عرف بحبه لمجالس الشعراء والأدباء ، اشتهر بكرمه الوافر لوافدية منهم . الذخيرة لابن بسام ق٢/ م٤٣/١ . الحلة السيراء لابن الآبار ٥٢/٢ تحقيق "حسين مؤنس ط دار المعارف القاهرة ط ثانية سنة ١٩٨٥م .

(٢) ديوان المعتمد بن عباد صـ ٩٩ جمع وتحقيق د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ط دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٩٧م . "الثريا ، وسعد السعود ، والزاهي أسماء قباب ومصانع سلطانية من قصور إشبيلية . وحمص تطلق علي إشبيلية .

العودة إليها عسيرا ، فلم يعدم الشاعر إرادة الله القادر علي كل شيء ، فكل ما شاء الإله يسير .

وقد يعشق الشاعر المكان لا من أجل الذكريات التي يحملها لطفولته فقط ، وإنما لوجود علاقة حب شهد المكان مظاهرها من قرب ووصال ، أو فراق ووداع ، مما جعل المكان والمحبوبة شيئا واحدا .

ومن هؤلاء الشعراء (ابن زيدون) [١]، الذي يعبر عن معاني الشوق إلي مدينة الزهراء ملاذ حبه ، ومكان لقائه من غرامه القديم ، بعد عودته من معاناة التغرب والنوي ، نجده يكحل عينيه بجزيئات المكان ، ويستنشق عبير الذكريات الرغيدة في حب ولادة ، مما يجعل المكان بذكرياته يعانق الحبيبة ، فتنتاب الشاعر حالة شعورية خاصة تجعله ينطلق من عقالة ، فيصدح بتفاصيل المكان وأجزائه قصر الزهراء ، وتجعله يشاركه مشاعره ومعاناته إذ يقول :

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقتا والأفق طلق ومرأي الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله كأنه رمي لي فاعتل إشفاقا

والروض عند مائه الفضي مبتسم كما شققت عن اللبات أطواقا

تراه عسيرا ويسيرا مناله جال الندى فيه حتى مال أعناقا

وكأن أعينه إذ عاينت أرقى بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تألق في ضاحي منابته فازداد منه الضحى في العين إشراقا[٢]

(١) ابن زيدون : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي أبو الوليد ، وزير و كاتب وشاعر ، انقطع لخدمة ابن جهور ثم سخط عليه وسجنه ، ثم هرب إلي إشبيلية ، وتوفى بها ٤٦٣ هـ . الأعلام للزركلي ١٥١/١ ط بيروت ط ثالثة .

(٢) ديوان ابن زيدون صـ ١٣٩ ، ١٤٠ تحقيق د. علي عبد العظيم دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة .

إن تعلق ابن زيدون بالمكان ناتج عن تعلق بمحبوبته ، وارتباطه به مرهون بدرجة وعين إحساسه بهذا المكان وبمن كان فيه ، وما المكان إلا ولادة محبوبته ، ورغبة الملحة في الذكر هي التي قادته إلي الزهراء ، فإنساق وراء ذكرياته ، وسبح في أفق المكان علم يجد السلوى ويركن إلي الحماية والأمان ، إذ في قربها الراحة والسكون حيث يتسع المكان بالفرحة ، فالورد متألق منعش ، والروض مبتسم ، وفي فراقها والمكان الذي يضمها يبرز الحزن علي مفردان المكان إشفاقا علي الشاعر ، حيث النسيم مقبل ، والندى فوق الزهر يذرف الدمع الرقراق ، مما يعكس أزمة الشاعر النفسية التي جعلت من المكان والمحبوبة شيئا واحدا .

ولا غرابة في ذلك فما المكان إلا صورة من المحبوبة ، وما جماله إلا جمالها فا المحل والحال متلازمان ، مما يدل علي براعة ابن زيدون في اكتشافه لسر المكان .

وفي العصر الحديث : تميز النص الشعري في بنيته بتعدد الأمكنة الشعرية وانفتاح الشاعر علي أمكنة قريبة أو بعيدة ، ولد فيها أو عاش بها أو زارها ، وأصبح المكان لمن يبدعه وليس لمن يقيم فيه ويملكه .

فمع إعراض الشاعر عن الأطلال برزت أمكنة أخرى تشبث بها الشعراء ، لأنها أماكن بديلة ، وتجلي ذلك في الشعر الوطني ، لأن الوطن هوالمكان الذي يرمز إلي الهوية والانتماء والقضية ، وكلما ارتبط به الشاعر ، كلما تحققت إنسانيته ، لأنه"المكان الأول الذي يتجذر في الذات الإنسانية ، والبؤرة المركزية التي تستقطب تفاصيل الحياة الشاملةن والنواة الخفية التي تتمحور حولها التجربة الشعرية". (١)

وقد امتزج ذكر المكان بالحديث عما يعانيه الوطن من ظلم وتعسف وفقد وضياع ، ومشكلات سياسية واجتماعية ، والتعريض والدفع بالتعبير عن آلام وآمال البلاد ، والسعي لتخليد مآثر وأمجاد وطنه ، مثلما فعل أحمد شوقي :

---

(١) المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا إبراهيم رماني صـ ٢٠٥ الهيئة العامة للكتاب مصر ط أولى عام ١٩٩٧م

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي[١]

وأما الشاعر (فاروق جويدة) [٢] جعل من ارتباطه بالمكان / الوطن نمطا فريدا تعشقه النفس، وقصيدة جميلة ترنو إليها الأسماع ، وتطرب لها القلوب ، فمصر عنده قبله تحج إليها المنى ، وزهرة تعانقه رؤاها ، وحب عمره الذي في ثغرها فجر الضياء ، وفي عبيرها تصحو السماء :

فيا قبله لم تزل في الحنايا

تحج إليها المنى .. والرجاء

ويا زهرة عانقتنا رؤاها

ومنها رأينا الأسى .. والعزاء

ويا حب عمر عشقناه عشقا

بكل الخطايا .. وكل النقاء

فأنت التي إن رمانا الظلام

رأينا بثغرك فجر الضياء

فيها لعطرك .. لا تهجريه

(١) الشوقيات ٤٦/٢ ط دار العودة بيروت عام ١٩٨٨م .

(٢) فاروق جويدة: شاعر مصري وأديب وصحافي تم ضم دواوينه الشعرية في ثلاثة مجلدات وسميت بالأعمال الكاملة ط دار الشروق سنة ٢٠٠٤م.حوار مع مجلة الراية أجرته كريمة الجبوري تحت عنوان "أنا شاعر تحاصره النساء" سنة ٢٠٠٨م .

غدا من عبيرك تصحو السماء[1]

ومن هنا كان حبه للمكان / الوطن، لديه واجبا مقدسا يسعى إليه كل شاعر عربي حر ، وحلما كبيرا بين جوانح كل شهم أبي ، وحقيقة كامنة في نفس كل شاعر يضحى بنفسه في حب وطنه ليظل دائم القوة والشباب ، دائب الحركة والنمو والتطور ، جاعلا من أريج الزمان قلائداعلى جبينه ، وناسجا بين قبابه إيمانه بحبه وانتمائه له إذ يقول :

لو لم تكن مصر العريقة موطني

لغرست بين ترابها وجداني

جعلت من عطر الزمان قلائدا

ونسجت بين قبابها إيماني[2]

وقد كان الشعراء أكثر تشبثا بالمكان / الوطن ، وأملا في المستقبل من غيرهم لأنهم تجردوا من الأهواء والمنافع والمطامع ، فكانوا صادقين مع أنفسهم ومع شعوبهم، وتركوا قصائد تنمو حبا وارتباطا بالمكان ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي شكل المكان عنده علاقة محورية في القرب والبعد ، وهما كبيرا، إذ يقول :

علقوني علي جدائل نخلة

واشنقوني .. فلن أخون النخلة

هذه الأرض لي.. وكنت قديما

(١) الأعمال الشعرية فاروق جويدة ١٨٨/١ ، ١٨٩ ط. دار الشروق ط ثالثة سنة ٢٠٠٩م .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة فاروق جويدة ٢٠١/١ .

أحلب النوق راضيا وموله

وطني ليس حزمة من حكايا

وطني ليس قصة أو نشيدا

ليس ضوءا علي سوالف فله

وطني غضبة الغريب علي الحزن

وطفل يريد عيدا وقبله[1]

فالوطن عنده معادل موضوعي للنخلة الرامزة إلي التشبث بالمكان والمتجذرة بالأرض زمانا ومكانا ، والمرادفة للوطن حيث تحول المكان إلي نص ، والنص إلي مكان ، والشاعر هو من يعطي المكانة الحقيقية له شعريا وواقعيا.

ويوافقه هذه الرؤيا الشاعر عبد اللطيف عقل [2] الذي أظهر في أشعاره إخلاصه للمكان الفلسطيني ، وارتبط به ارتباطا أزليا ، يدافع عنه ، علي أن له حقا تاريخيا فيه:

أنا جذر
يرفق عمق الأرض
منذ كانت
ومنذ تكون الأزل
وكون لحمها لحمى
وتحت ظلال زيتون الجليل

(١) ديوان محمود درويش صـ ٢٣٥ ط دار العودة لبنان ط ثانية عام ١٩٧٨م .

(٢) عبد اللطيف عقل شاعر فلسطيني ولد عام ١٩٤٢م لأسرة فقيرة في ديرا استيا قرية قريبة من مدينة نابلس ، مزج في شعره بين آلامه وآلام الوطن . محاورات عقل في الأدب والثقافة عبد الكريم أبو خشان وآخرون صـ١٣ . بيت الشعر رام الله سنة ١٩٩٩م .

أهمني الغزل . [1]

وفي الجزائر يستجلى مفدي زكرياء ملامحها[2]، وكأنها قطعة قدسية وقصيدة أزلية، كان مطلعها الفاتح نوفمبر ، تنحي لاسمها الجباه ، ويزف خبر مولدها بالدماء والمدامع بشري للعالم ، إذ يقول :

إن الجزائر في الوجود رسالة الشعب حررها وربك وقعا

إن الجزائر قطعة قدسية في الكون لحنها الرصاص ووقعا

وقصيدة أزلية أبياتها حمراء كان لها نوفمبر مطلعا[3]

فالشاعر مدي زكرياء نزع إلي المكان الواسع الحاضن للكل ، إلي الجزائر الجغرافيا والتاريخ ليرسم حقيقتها وصورتها ، وجعل منها في نصه الشعري كتابا يقرأ عبر الأجيال ، وصورة ترتسم في ذاكرة كل جزائري محب لوطنه .

وعز الدين ميهوبي امتداد لهؤلاء الشعراء الذين جعلوا من حب المكان نمطأ فريدا تعشقه النفس ، بوصفه جملة من القيم قبل أن يكون مكانا جغرافيا.

وجعل الجزائر الحلم المنشود لديه، خاتما ملصقا بالأمر الذي يترجى حدوثه بإلحاح بعد أن ساد عنصر الاحتمال في عودة الأمان "وربما أحلم يوما في بلادي الجزائر" :

ربما تنجب بعد اليأس عاقر

---

(١) حوارية الحزن الواحد عبد اللطيف عقل صـ ٢٠ ،٢١ ، منشورات العودة القدس سنة ١٩٨٥م .

(٢) زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان الملقب بمفدي شاعر وسياسي جزائري، ومؤلف نشيدها القومي ولد عام ١٩٠٨م ، وتوفى عام ١٩٧٧م. اللهب المقدس مفدي زكرياء صـ ٥ الجزائر عام ١٩٨٣م .

(٣) اللهب المقدس مفدي زكرياء صـ ٥٨ .

ربما يحكمنا في دولة القانون بالكعبين ماجر
ربما يمتلك الذرة شعب جائع من دون حاضر
ربما يحكم عرش الصين قاصر
ربما يحترف التأليف تاجر
ربما أسست المرأة حزبا لائكيا باسم آلاف الجزائر
ربما يحفظ ماء الوجه للدينار مهاجر
ربما ..
ربما ..
أحلم يوما في بلادي ... بالجزائر (١)

ولذلك يدعو لتحقيق هذا الحلم بالتفاؤل والتضحية رغم مرارة الجرح فيقول :

إذا سرقوا ضوء عينيك منك
فلا تيأس
واحترق مثل كل الرجال
لنوقد شمعة هذا الوطن . (٢)

هذا التعبير التفاؤلي الذي يتخذه الشاعر في شعره ، ميزة من مزايا المقاومة والتشبث بالأمل القادم .

(١) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ١٤٦ .
(٢) اللعنة والغفران صـ ٧٢ .

المبحث الثاني

مرجعيات المكان في شعر عز الدين ميهوبي

يحتل المكان نصيبا من ثقافة الشاعر التي تتشكل وتتجلى في قصائده ، فلكل شاعر "مكان خاص يحمله معه أينما حل ، فيتحول من حالته المفردة إلي تعددية قادرة علي تلبس أماكن أخرى" .(١)

فإصرار الأديب علي الاهتمام بالمكان والكتابة عنه هو في واقع الأمر بحث عن مكان ينتمى إليه ، فكل كتابة هي بحث عن المكان والنفس .(٢)

ومرجعية الأديب في استدعاء المكان تتصل بثقافته التي يتم اختيار المكان فيها وفق خبراته، وما يخدم تطلعاته ورؤاه الفنية ، وبذلك تكون الأمكنة شاهدة علي صدق الأديب وخادمة لرؤاه ، فيوظفها توظيفا واعيا ، لأن في ذلك وعيا لذاته وبحثا في كيانه.

وهكذا.. "فالوعي بالمكان ومفرداته الجغرافية والتاريخية، هو وعي بموقع الذات في علاقتها بالآخر أيا كانت عوالمه ، فالحوار مع الآخر يبدأ من الحوار مع المكان للتعرف علي ملامح الهوية" .(٣)

وعليه فإن وجود الأديب "لا يتحقق إلا من خلال علاقته بالمكان ، وإنه علي قدر إحساس الإنسان بأنه مرتبط بالمكان يكون إحساسه بذاته ، بل إن للمكان قوة تقود الإنسان بالضرورة إلي دروب مختلفة من المعرفة" (٤) ، تجعل الشاعر يبحث عن مكان يحتضن الذكريات التي تنمي الإحساس ،"

---

(١) المكان في الفن محمد أبو زريق صـ ١٨ مطبعة السفير ط عمان سنة ١٩٨٨م .

(٢) المكان اليأس والفن الروائي بها الطاهر حوار في مجلة الطريق ع ٣ – ٤ صـ ٩٢ سنة ٢٠٠٣م .

(٣) التفاعل التراثي الأدبي بين المرئي والمنطوق والمكتوب ماري تريز عبد المسيح مجلة الطريق عدد ٣ - ٤ ص٩٢ سنة ٢٠٠٣م .

(٤) خصوصية التشكيل المكاني في أدب طه حسين د. نبيلة إبراهيم مجلة فصول مج ٩ ع ٢٠٠١ صـ ٤٩ سنة ١٩٩٠م .

فالذكريات والتخيلات المرتبطة بأماكن معينة تفيد في تأكيد إحساس المرء بذاته وتأكيد هويته ، وفي ترسيخ شعوره باستمرارية هذه الهوية" . (١)

وفي ضوء ما سبق نجد أن الأماكن ومرجعياتها تعددت وتنوعت في شعر عز الدين ميهوبي وفق خبراته وتجاربه الواسعة علي أرضية المكان وامتداداتها المختلفة ، فكان المكان جزائريا يحمل تاريخ الوطن وذكرياته والاعتزاز بحضارته ، فمثلما كان فلسطينيا يحمل همومه وشواغله ،كان عربيا يحمل هويته القومية ، إليه يلجأ ومنه ينطلق إلي الهموم الكثيرة ؛ وكان أجنبيا يبعث علي التوتر والقلق ، كما نلاحظ من أسلوبه ومفارقاته المؤلمة .

المكان الجزائري : شكل المكان الجزائري في شعر عز الدين ميهوبي مرجعية يستدعيها وفقا لخبراته بتاريخ الجزائر ، وتجاربه الواسعة علي أرضها ،فقد بلغ اهتمام الشاعر إلي الحدالذي جعله يطلق عليه اسم أحد دواوينه "في البدء كان أوراس" فالأوراس معادل موضوعي للانتماء للوطن، ورمزا لكل من أراد التمسك بقيم وطنه والنضال من أجل ذلك ، فقد تحول من سلسلة جبلية انطلقت منها الثورة الجزائرية ، إلى مصدر وحي للنشيد والقصيدة ، هذا المكان هام به الشاعر وجدا وحبا يشبه الحب الصوفي الذي يسبح في روحه ، ويذوب في عمره للأبد إذ يقول :

متى سأرسم عشقا أنت منبعه
إذا ذكرتك كنت الحلم يا وطني
وكنت تسبح في روحي وفي جسدي
وكنت رحلة عمر بت أساله
في التراب يذوب العمر للأبد . (٢)

(١) الوعي بالمكان ودلالاته شاكر عبد الحميد مجلة فصول مجلد ٩ عدد ١ ، ٢ص٢٥٨ سنة ١٩٩٠م.

(٢) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٣٧ ط دار الشهاب بائنة ط أولى سنة ١٩٨٥م .

فالشاعر يبدو عاشقا ولهانا لهذه المحبوبة/ الوطن ، وهذا يحيل الصورة إلي "الجمال المتجلي في طابع الجلال ، والجلال ظاهر في طابع الجمال" .(١)

فالأوراس هو الرمز المكاني لكل من أراد الارتماء في أحضان وطنه مفخرة واعتزازا والأوراس مصدر وحي للشاعر لما اكتساه من قدسية وجلال ، معبرا عن حبه لهذا الوطن بسرعة قدومة إليه ، إذ يقول :

أوراس
جئتك والعنادل في فمي
وقصائدي سكنت عيونك
إني سأرحل ..
كي أراك محاصرا
بمواكب الحب
الكبير
وكي أراك مسافرا
في المجد
والأكوان دونك .(٢)

فالتعبير بقوله "جئتك والعنادل في فمي "جاء لغاية يريدها الشاعر ، وتتمثل في "كي أراك محاصرا بالحب الكبير" وكي أراك مسافر في المجد "فإتيان الشاعر للوطن / الأوراس، له غاية تتمثل في أن يحظي هذا الوطن بالحب والمجد ،والمكانة التي يجب أن يتبوأها هذا الوطن .

وبهذا كان هذا الحب مفجرا لطاقة الشاعر الإبداعية ، وباعثا علي البوح الوطني والانتمائي للمكان ، ومستمدا انفجار شعره من انفجار الأوراس زمن ومكان الثورة الجزائرية إذ يقول :

---

(١) الرمز الشعري عند الصوفية عاطف جودة نصر صـ ٢١٧ دار الأندلس بيروت ط ثالثة سنة ١٩٨٣م .

(٢) ديوان في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٢٧ .

أوراس فجرني هواك ومادرت هذى الضلوع بأن جمرك ملهم

فجرت من وهج انفجارك آية مازل يذكرها لذكري البلسم

أوراس مالك لا تبوح بما رأت عيناك أم أن الملاحم مغنم(١)

إن إسناد مفردة "فجر" إلي ضميري المتكلم والمخاطب ولد إحساسا يوحي بالتغيير والمقاومة ، ورفض السائد المألوف ، واستشراف غد مشرق يساهم في تفجير الواقع ونقله إلي فضاء أرحب تحقيقا لقيمة المكان .

وتظهر الجزائر /الأوراس في شعره في صورة المعشوقة التي يفني الشاعر في عشقها إلي حد الزلزال الذي أحدث إنكسارا في صخره .

ومن مظاهر جمال هذه الأنثى الأوراس عيناها ،لأنهما موضع الجمال، إذ يقول:

لعينيك أوراس أكتب شعرا يزلزل صخرك من فرط وجدي

لعينيك أحمل كل الأماني فهل يحمل القلب صخرك بعدي(٢)

ويؤكد الشاعر علي هذا المعنى بسؤال الأوراس ب"هل" الدالة علي إمكانية تبادل العشق بينه وبينها حتى بعد موته ، ويغدو حبه لها حب حبا للأرض / الوطن .

ومن فرط عشقه المكاني يتوحد عالم الحب والوطن في ذات الشاعر بعد تضاؤل المسافة الفاصلة بين العالمين بواسطة التجاوز الدلالي الذي أدى إلي امتزاج لونه بلون القضية الوطنية .

---

(١) عولمة الحب عولمة النار عز الدين ميهوبي صـ ١٨ ، ١٩ منشورات أصالة الجزائر ط أولى سنة ٢٠٠٠م .

(٢) نفسه صـ ٤٤ ، ٤٥ .

وهذا يؤدي إلي انتقال الشاعر من الذاتية إلي تقمص الهموم الوطنية والإصرار علي الحب والوفاء للمكان [١]" ،فيعتمد الشاعر فكرة المهر ليعبر عن الوطن في صورة المرأة التي يقدم لها الرجال أعمارهم مهرا لخطبتها ، حاملين أرواحهم في سبيل تحرير أماكنها التي ارتبطوا بها ، إذ يقول:

رجالا أقسموا جهرا .
وقالوا عيبنا فينا
نقدم عمرنا مهرا
ومن أعلى علينا . [٢]

وينفتح الشاعر علي دلالات أخرى توحى بارتباطه بالمكان الوطن ، فيجعل من الوردة والزنبغة وطنا تتمزج فيه كل معاني العشق والهيام والانتماء ، إذ يقول :

ارسمني نورا ولجين
امنحني
وطنا أو زنبقة . [٣]

فيكاد الوطن يساوي الزنبقة في عرف الشاعر عندما اختار "أو" التي جاءت بعد الطلب ، وأفادت هذا التخيير .

إلا أنه في مكان آخر ساوي بين الزنبقة والوطن ، إذ يقول :

وطني زنبقة
نخلة طلعت من عيوني
أقاموا لها مشنقة . [٤]

"فالوطن ليس مكانا جغرافيا فحسب ، وإنما هو كذلك حالة ذهنية فكرية ، يتوسل الشاعر لإحيائها وبث الحياة فيها بكل ما يمكن أن يعنيه من

---

(١) علامات في الإبداع الجزائري دراسات نقدية عبد الحميد هيمة صـ ٢٩ رابطة أهل القلم سطيف الجزائر .
(٢) الشمس والجلاد عز الدين ميهوبي صـ ٤٤ .
(٣) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٦٣ .
(٤) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٤٩ .

إعادة بنائها وتثبيتها في الذاكرة ، ووسيلته هي اللغة ، وحركته في الزمان والمكان حرة تقوم علي التداعي" .[1]

وفي مشهد آخر يستدعي الشاعر الجزائر فهي خيمة العرب التي تعني الكرم والبداوة والأصل والأنفة، وكونها تتلو سورتها، دلالة علي الإيحاء إلي عبق التراث بالدين والقرآن ، وأن هذه الأرض مكان ، وهي أرض القرآن والإسلام هوية مهما حاول الآخر تدجينها، أو محو هويتها إذ يقول :

الخيمة تتلو سورتها
والرمل تشبث بالنخلة
والليل الناسك ينتظر الآذان
يصلي الرمل صلاة الغائب [2]

مما يوحى بصدى الشعور النفسي المبهم ،والانفعالات الخفية للخلجات المرتعشة في زوايا الروح .

وتتسع هذه الخيمة التي ارتبط اسمها بالمجد والفخار (الأوراس) لتقف بجوار مكان عربي تعرض للانكسار والضياع(بيروت) عساه أن يحذوا حذوها ، إذ يقول :

آت من الأوراس أحمل قبله للقبلتين وفي الجنوب أجول
إني أراهم في العيون أزاهرا ومواسم القلب الشهي فصول
هم يطلعون كما الورود تسابقت في الريح نحو الخالدات خيول
يكفي انتصارا أن يفر عدونا ويظل من أرق الجنوب يبول

(١) قراءات في النص الشعري الحديث بشري بستاني صـ ١٨٨ . دار الكتاب العربي الجزائر ط أولى سنة ٢٠٠٢م .

(٢) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ٣٧ . منشورات مؤسسة أصالة الجزائر ط أولى سنة ١٩٩٧م .

فانثر بأعطاف الجراح قصائدي وافرح فأعراس الجنوب قليل[1]

يجسد الشاعر مقولة الوطن العربي ، وأن المكان واحد في السراء والضراء فيربط بين الأوراس / المكان الجزائري بظلاله التاريخية وبيروت التي تتقاطع معه في المصير ذاته، مما يعمق دلالة الانتماء للمكان الواحد / الوطن العربي .

وفي الاحتفاء بالأماكن الجزائرية يستدعى الشاعر شخصيات تاريخية ذات مرجعية بطولية، استطاعت أن تترك بصمات متعلقة بتاريخ هذه الأماكن .

ولمدينة (دردارة) مكانة خاصة في مرجعية عز الدين ميهوبي فهي المكان الذي تمت فيه البيعة للأمير عبد القادر الجزائري، والتي أصبحت فيما بعد ملحمة ورمرا للنضال والكفاح، إذ يقول :

أين الأمير وأين السفر أين خطي نمت بصدري فجد الشعر قدحانا

هم بايعوك ومن دردارة ولدت ملاحم كتبت بالسيف أحيانا

هم بايعوك وباعوا الردي مهجا كم كنت غضا وكان القلب بركانا[2]

ويمجد الشاعر الفضاء الواسع ويتخذه رمزا للحرية والتغيير فيتناص مع مقولة الشهيد محمد بن مهيدي :"ألقوا بالثورة إلي الشارع سيحتضنها الشعب" إذ يقول :

ألقوا بالثورة
لا تخشوا عليها
شعبها يحنو عليها
إنها للشعب عتق

(١) عولمة الحب وعولمة والنار عز الدين ميهوبي صـ ٨٠ .
(٢) في البدء كان أوراس عزالدين ميهوبي صـ ٧٩ .

ألقوا لا تخشو عليها
نصرنا بين يديها (١)

وتتكاثف الرموز التاريخية في استحضار الزمن الماضي ليصبح رمنا آتيا، فقد كان زمن "وهران" وهي ولاية جزائرية، ولكن نظرا لارتباطها بالسجن الذي حبست فيه (جميلة بوحريد) أخذ رمزية مكانية جعلت من وهران والأوراس رمزا للجهاد وزمنا للنضال والثورة علي الواقع لإحداث المفارقة بين الأمس واليوم، والتعبير عن اللحظة الراهنة التي يعيشها، والمتمثلة في التخلي عن الوطن، وتضحيات الشهداء دلالة علي مايمر به الوطن .

وتتعاظم مرجعية الشاعر من خلال استدعاء الشخصيات بدمها الثائر علي أرضية هذا المكان إذ يقول :

أنا من بلاد تحبونها أيها الشعراء
أيها الأصدقاء
وتحترقون بأهدابها المثقلة
بلادي التي ألفت شدوكم
وتراتيلكم لعيون جميلة والمقصلة
لأوراس يطلع من كبرياء المسافات
لوهران ترقص حتى الصباح
بلادي التي تتنافى بأعينكم سنبلة
تنام وتصحو علي غفلة
أو قنبلة (٢)

فالشاعر يحن إلي الماضي بما فيه من أناس سكنوا وعاشوا فيه وعلي أرضه أملا في الإتيان بمثلهم في المستقبل القريب لهذا المكان ، من أجل ذلك ينادي علي الشعراء والأصدقاء أن يراجعوا التاريخ، ويقفوا متدبرين

(١) الشمس والجلاد غنائية الشهيد محمد بن مهيدي ، عز الدين ميهوبي صـ ٤٧ ،٤٨ ط دار الأصالة سطيف الجزائر ط أولى سنة ١٩٨٨م .
(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٥٥ .

صفحاته المشرقة التي ضنعتها جميلة بوجود بحبها لوطنها ، وامتثالها للتعذيب ، والاستنطاق والسجن ، كل ذلك لم يؤدي بها إلي الاستلام وخيانة الوطن ، وهذا السياق أكسب مدينة وهران رمزا جهاديا علي مر الزمان .

هكذا يلتفت الشاعر إلي الماضي بما فيه من أمجاد عزيزة، وتراث غال لإضاءة جوانب مختلفة من الحاضر الراهن .

المكان العربي :

لقد كان الشاعر عز الدين ميهوبي من أبرز الشعراء الجزائرين المعاصرين الذين تنوعت في شعرهم الأماكن العربية ، إذ ينطلق من الوطن الجغرافي الضيق ليعانق الوطن العقائدي الواسع الذي يستمد جوهر وجوده من الإسلام ، ويكشف في قصائده عن هذا الجوهر إيمانا منه أن الوطن العربي لا يمكن تجزئته، أو الحديث عن مكان دون آخر .

وعز الدين ميهوبي في حديثه عن المدن والأماكن العربية دائما ما يبرز معاناة الإنسان العربي المرتبط بتلك الأمكنة ، لأنه يعتقد أن الوطن ليس مساحة جغرافية ترفع عليها الشعارات والأعلام وتوقع باسمها الأوراق ، ولكنه وطن لا يرتبط بالحدود والأعلام ، لذا فهو في فلسطين أو في بيروت أو في العراق ،وهو في الكل واحد لأن مرجعيته إسلامية ، لا ترضى بغير العزة ، وتسعى لاسترجاع الماضي الجميل لتلك المدن والتي كانت في وقت ما ، محور عز .

ها هو ذا يعبر عن الانكسار لهذه الأوطان عندما خضعت كل الأماكن العربية للاستعمار والانتداب ، وقد باءت كل المحاولات في إعادة مجد الخلافة الضائع ، وهو الأمر الذي عمق في نفسه ضياع فلسطين، وما أنجز عنها من تنازلات وانتكاسات متوالية ، وقد أحس الشاعر بالضياع فعبر عن هذه الحالة باسترجاع الماضي الجميل ،علّه يجد متنفسا يخرجه من دائرة الهزائم إلي دائرة النصر، إذ يقول :

تقاسمنا الهزائم وانتشينا وداعبنا ضفائرنا انشراحا

وخدرنا الصغار بألف نصر وكان النصر في دمنا مزاحا

هوت بيروت فانتفضت عكاظ وقام الشعر يعتصر امتداحا

وحاصرنا اليهود ببيت شعر وكم كانت قصائدنا سلاحا

وألبسنا السواد طيور أرض حباها الله عزته وشاحا

فلا الأقصى نجيب إذا دعانا ولا القدس التي صلبت صباحا[1]

فبسقوط الأماكن العربية سقط المكان المقدس (القدس)، وقد عبر الشاعر عن هذا الانكسار من خلال البؤر الدلالية التي تعبر بصراحة عن الانكسار والهوان الذي ترزح تحته الأمة في قوله "الهزائم"، وكأنها كانت كثيرة ومتكررة ، أضف إلي ذلك الأفعال الماضية التي تشى بما حدث كقوله:"تقاسمنا – كان – هوت – انتفضت – حاصر" مما أدى إلي تصوير حالة الذل التي أصبح عليها العرب، فلا يجيبون نداء مقدساتهم.

ويكرر الشاعر المقولة السابقة نفسها إذ يقول معبرا عن الحزن الذي انتاب القدس في هذا الوقت :

فالقدس تنسج أحزانها زمنا من الفضيحة صار القهر تقوانا

نموت ذلا علي أنقاض عزتنا لم يبق وجه يباهي اليوم قحطانا

نشق بحرا ولا مجداف ينقذنا والبحر ضيع رغم الآه شطآنا[2]

فالمفردات التي بنى الشاعر عليها حالة الانكسار والذي والهوان، ساهمت في تكثيف الدلالة المتوخاة من المكان المقدس / القدس،

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) السابق صـ ٨٦ .

كقوله:"الحزن – الفضيحة – العهد ، نموت – الذل – انقاض عزتنا – لا مجداف" .

كلها مفردات لسانية توحى بالمأزق الخطير الذي تقع تحته الأمة ممثلا في القدس .

فالقدس / المكان بؤرة شعرية تناولها الشاعر تعبيرا منه علي أهميتها للذات العربية ، وانتهاكها هو انتهاك للأمة العربية ، وضياعها ضياع لكل المدن العربية ، فهي مدينة تنزف ولا من مجيب ، وتنتظر الفارس المنتظر الذي يعيد لها كرامتها وقدسيتها ويخلصها مما هي فيه ، مثلما فعل صلاح الدين من قبل ، وعند ذلك يتحقق وعد الله ويعود الحق المسلوب إلي أصحابه، فيقول :

القدس ضاعت ياجزيرتنا القدس تنأى لا ترى مضرا

يا درة الأرض لا تبكي فإن هنا ربا قديرا ينصر الدررا

يارب أن القدس في زمني عذراء حبلي تكره السمرا

كم لقيط راح يعبدها يوما وكم قد قدم النذرا

عد يا صلاح فالبلاء أتى والقدس ليل ظل معتكرا[1]

فالشاعر يمنى نفسه في أن ينهض صلاح الدين من جديد، ويعيد للقدس كرامتها التي قضت عليها المعاهدات الفاشلة مع الغرب .

وهنا يتضح البعد الرمزي للمكان الذي يبالغ في الاشتغال حتى يطمس آثار المكان الفيزيائية والجغرافية ، فالقدس بالنسبة للمخيل الشعري الجزائري هي ماضي الذاكرة ، هي الفردوس المفقود ، هي دائرة اشتغال الضمير المعذب .

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ١٩٣ .

والقدس من هذه الزاوية رمز مغر لسهولته ، ولكنه صعب التناول، وهذا ما وقع فيه عز الدين ميهوبي عنها أعلن عن حب شبه ساذج ، يكاد لا يبرز استحضار المكان / القدس المفعم بالكثير من الدلالات :

لك الحب يا قدس لا تجزعي ومن كأس حزنك لا تترعى
وكوني كما شئت عاشقة وشامخة الهام لا تركعي
كعصفورة الشوق كوني هنا وكوني كما شئت كوني معي
يكفي انتصارا أن يفر عدونا وملئ المسافات ملئ دمي
أغنيك يا قدس ملء فمي وافرح فأعراس الجنوب قليل
وأنثر في جانبيك سلاما وأزرع حقلا من الأنجم
بأقصى المحبة الندا وفي مهد عيسى أرى موسمى[1]

إن القدس رمز ارتكز عليه الشاعر في تكثيف دلالة مقولة العودة إلي الذات ، باحثا عن ولادة جديد لإعادة القدس حتى ولو كان عن طريق الحجر إذ يقول:

قسما بأطفال الحجارة بالدما بالقبلتين بجنتي بجهنمي
قسما بزيتون يقاوم بالنوارس بالعتابا باللغى بالعلقم
وطن سيأتي للشوارع نبضها حجر يفيد الشمس بعد تبرم

(١) قرابين لميلاد الفجر عز الدين ميهوبي صـ ٥٠- ٥٢ منشورات أصالة الجزائر ط أملي سنة ٢٠٠٣م .

وطن لأطفال الحقيقة ينتشى بالصحو يرقص للحجارة للدم[١]

إن قسم الشاعر بأطفال الحجارة ، والزيتون ، وبالقبلتين للتدليل علي مرجعية المكان المقدس وأهميته واستحقاقه للقسم ، كونه يمثل القضية الأهم في وجدان الشاعر في الأمة ، فالحجر هو الذي سيعيد للقدس مجدها وعزتها، بما يمتلكه من قدرة جبارة معتمدا في ذلك علي الحلم ،حيث تصبح التجربة الشعرية بحثا مستمرا عن ولادة جديدة تبعثها القصيدة من خلال بنيتها وترميزها الذي يقوم بمهمة البحث عن مصير الذات التي تحاول بناء عالمها المتخيل ، الذي طالما فقدته في عالم الواقع.

ولذلك يتحتم علي الفلسطينيين العودة إلي أوطانهم بعد طول اغتراب ليتم تحقيق هذا الحلم من أجل الدفاع عن الوطن التمسك به ،إذ يقول :

أنا عائد
ليس لي غير قلبك أحمله
وعينين تكبر في كل واحدة منهما
غربة واحتراق
تحيط بحلمك هذي الأفاعى
وتعرض أنك سوف تموت بعيدا
وأن المسافات تعبث بالعائدين
وحيدا أجيئك ملتحفا سمرة السنوات
ومعتنقا أية المستحيل
ويعتصم القلب بالله
والغربة القاتلة [٢]

ومثلما كان الاهتمام بالقدس كان الاهتمام ببيروت، حيث كان لها حظ وافر في مرجعية عز الدين ميهوبي القومية ، فهي في ذاكرته مكان للنضال والدفاع عن الوطن والدين ، وفيها بقية من حياة ، في حين ماتت الحياة في أماكن عربية أخرى ، وقد جعلها الشاعر وطنا بديلا له يبرز مدى ارتباطه

(١) عولمة الحب والنار عز الدين ميهوبي صـ ٨٥ .
(٢) عولمة الحب والنار عز الدين ميهوبي صـ ١٤١ ، ١٤٢ .

بالمكان العربي، وهو بذلك يحول المكان الجامد إلي شاهد علي الهزيمة ،وما حل بنا من نكسات .

وقد كانت الحرب الأهلية في لبنان هي المؤثر الذي حرك الشاعر وجعله يشعر بالفاجعة ، فيسجل شهادته الشعرية بقوله :

آت من الأوراس أحمل قبله للقبلتين وفي الجنوب أجول
إني أراهم في العيون أزاهرا ومواسم القلب الشهي فصول
هم يطلعون كما الورود تسابقت في الريح نحو الخالدات خيول
يكفي انتصارا أن يفر عدونا ويظل من أرق الجنوب يبول
فانثر بأعطاف الجراح قصائدي وافرح فأعراس الجنوب قليل
آت من الأوراس أحمل قبله للقبلتين وفي الجنوب أجول
إني أراهم في العيون أزاهرا ومواسم القلب الشهي فصول[1]

فالبعد المكاني لا يمثل عائقا بين الشاعر ومدينة بيروت، والحديث عنها حديث عن المعاناة المشتركة بين جميع أبناء الوطن العربي ، فتصبح بيروت رمز كل مدينة عربية صامدة عند عز الدين ميهوبي، إذ يقول :

تأتي لتكبر في مدى الجرح لتمد قامتها فتنكرها البيوت الصموت
كل الأحبة يلعقون دماءها ويضمدون جراحها والعمر تموت
كتبوا بنار الحقد سر فنائها ثم استباحوا عزها ملء السكوت

(١) عولمة الحب وعولمة والنار عز الدين ميهوبي صـ ٨٠ .

كل المدائن أعلنت أحزانها وعلي رصيف الأرض عاشقة تمو ت[1]

وتستمر مصارحة المكان بالحب العميق الذي كنة الشاعر لبيروت العاصمة الرمز ، يتحول لبنان إلي بلد شعري كثر توظيفة في المتن الشعري الجزائري والعربي سلبا أو إيجابا .

وعلي الرغم مما يحدث بفعل الأشخاص وصراع المصاع الشخصية الضيقة ، يبقى المكان الرمز لبنان ملهما للشعراء حتى وقت الأزمة ، فتتشابك الأمكنة العربية من الأوراس إلي لبنان عند الشعراء ومنهم ميهوبي ، إذ يقول :

يا لبنان يا وطن الهوى ما أروعك
إنا من الأوراس نأتي
كي نكفكف أدمعك
ما أروعك
أنا معك
لا تيأس
فالفجر تصنعه المحن
لبنان يا وطن الأرز
إنا هنا
شمس لشعبك ساطعة
لا لست وحدك يا بلد
أنت الحقيقة للأبد [2]

فالحقيقة هي لبنان ، ولبنان بكل أمكنته هو امتداد للأوراس لأنه يكتسي شيئا من القداسة في الوجدان العربي ، ويعد قبله الثائرين ، فلبنان لم يعد

(١) الرباعيات عز الدين ميهوبى ص ١٩ .
(٢) قرابين لميلاد الفجر عز الدين ميهوبي صـ ٩١ ، ٩٢ مؤسسة أصالة للإنتاج الإعلامي الجزائر ط أولى سنة ٢٠٠٣م .

مكانا للبناء فقط بل أصبح رمزا للذات العربية المسلوبة التي غربت عنها الشمس ، وتبحث عن هويتها ، لأنها تشكل الحقيقة لكل عربي .

ويلجأ الشاعر عز الدين ميهوبي إلي إحداث هذا التداخل في الأمكنة العربية ليبرز خصوصية المكان الجزائري من خلال مرجعية الأماكن العربية الأخرى ، ويظهر إيمانه بالوطن الواحد علي الرغم من الحدود الجغرافية الفاصلة ، والضيقة التي يسعى الساسة لتضييقها ،إذ يقول :

هذي المسافات ما عادت تؤرقني ولا المواجع حتى لا ولا الترف

قالوا المحبة قلت القلب يعرفها واللاذ قية قالوا قلت هل أصف

أبها وإربد والفيحاء في كبدي والقدس والكاف والجهراء والنحف

صنعاء والسرت والفيوم شاهدة وفي الجزائر قلب متعب نزفا[1]

فالشاعر هنا افتقر إلي الشحنة الإيحائية ، واكتفى بهذا التعداد المكاني الذي يقوم بالوظيفة اللسانية فقط .

ويأتي النخيل من مستلزمات المكان الصحراوى ، وهى تمثل عند الشاعر الأصول العربية والمنابت الأصيلة ، ورمزا للشموخ والصعود وعدم النكسار ، لذلك ظلت النخلة عصية علي كل معتد ، متحدية العدو وأساطيله، إذ يقول :

مت واقفا كنخيليا
كنخيلنا مت واقفا
أنا ما عدتك خائفا
وأشمخ بأنفك في السماء
فامحرر يسقط مرة
ويرى الشهادة كبرياء

(١) نفسه ص ١٠٥. .

مت واقفا [١]

ويستدعي الشاعر "مدينة جلق السورية" التي تبعث علي الألفة والمودة والرحمة بين أبناء الوطن الواحد بعيدا عن التنافر والتنابذ الذي يدعوا إلي الفرقة بين الأشقاء، ومن هنا تسقط الأوطان ، فيستدعي من خلال مرجعيته لهذا المكان حادثة تاريخية ، كان بطلها الأمير عبد القادر الجزائري في إبرامه صلحا بين المسلمين والمسيحيين بسوريا بعد حروب مريرة بينهما ، خلفت ضحايا وشهداء وأحدثت فتنة طائفية كبرى، إذ يقول :

من لي بجلق كي أسبي ضفائرها لكم سبتك وفاض الدمع وديانا
فكنت وشما علي أهداب عاشقة تذوب وجدا وإشراقا وإيمانا
هنا الأهلة والآيات ساجدة تشد فوق جناح الطهر صلبانا
زرعت قلبك في الأحداق فانبجست مناهل الحب فصار الناس إخوانا[٢]

فالشاعر يدقق المكان علي ذاكرته من أجل إضاءة الحاضر القاتم ، عله يخرج من رحمه أمثال أبطال الجزائر السابقين .

مما يجعل الشاعر يتطلع إلي غد أفضل لذاته المثقلة بالهموم المعاصرة ،وأن يعيش في مكان خال من الفوضى لا يحكمه قوم مثل الديلم والأولوية الحمراء، فيقول : **وسلالة جني تخرج عن طاعة بلقيس**
وتعتنق الليل السائر نحو الشرق
ونحو الغرب
ونحو مملكة
لا يحكمها الديلم
والألوية الحمراء [٣]

---

(١) الشمس والجلاد عز الدين ميهوبي صـ ٤٧ .
(٢) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ١٨٤ .
(٣) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ٥٨ .

فاستخدام الشاعر للدال "الديلم ، والألوية الحمراء" هما معادلان موضوعيان للمعنى المقصود / البعد عن الفوضى ، والمقصود بالمملكة هي ذاته التي يبحث لها الشاعر عن صفاء وانعتاق من واقعها المتأزم.

ويستدعى الشاعر عز الدين ميهوبي الأندلس ونخيلها استحضارا لمجد وطن عزيز، ورجال بواسل سكنوا هذا المكان ، واعتصارا لألم الغربة والحرمان علي هذا الفردوس المفقود ، وفي استحضاره إضاءة للحاضر القاتم ، وإحساس بالدفء للمكان الضائع،" فحين ينقطع الإنسان عن وطنه ويحرم منه سواء كان اختيارا أم إجبارا، فإن الوطن يتمدد في داخل الإنسان ، ويصبح مصدرا للحلم والإبداع وتنشيط المخيلة الخالقة ، لتبدأ صورة خاصة لهذا المكان المفقود" [١] .

ففي استحضار الأندلس حافز علي الحلم والإبداع، يستذكر فيها الشاعر الدفء والحنان في الوقت الذي يبعث ذكره علي الألم والحسرة ، وفي ذلك مفارقة ساخرة من الواقع ، إذ يقول :

وكان القراصنة القادمون من الليل
يلتحقون المسوح ، ويمتشقون الخناجر واللعنة التترية
والموت والاعتصار
ولا يشعلون القناديل عند الماء
فهذي الجزيرة تحبل بالشمس والضوء والجلنار
يمدون نحو الشراع ترابا جديدا
ويبنون قصرا جديدا
من التروبادور
ومملكة تستحم علي جفن مملكة الانكسار[٢]

فالشاعر يصور من خلال مرجعيتة للمكان حدث سقوط الأندلس حيث الدماء والفناء والانكسار، الذي تستشفه من مفردات النص (القراصنة- الليل

(١) مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث بسام قطوس صـ ١٩ مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع إربد سنة ٢٠٠٠م .
(٢) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٢١٤ .

– الموح – الخناجر – اللعنة التترية – الاعتصار – لا يشعلون القناديل" مما يدل علي فظاعة الحدث ووقعة القوى علي قلوب العرب والمسلمين ، وعلي الرغم من ذلك لا ينساها الشاعر بل يستدعيها في حلم عابر بصورتها التراثية التي أسقطتها همجية الصليبيين بهمجيتهم التترية ، فتوقظ في قلبه ووجدانه حنينا جارفا نحو المكان الذي كاد أن ينسى بتقادم الأزمان .

وهكذا يستوعب المكان العربي هموم الشاعر وقضايا الأمة التي بعثرتها الحدود ، ويلملمها في خريطة أشعاره وطنا واحدا وهدفا موحدا ، وتجسيدا لحلم كل عربي في وقتنا الحاضر .

المبحث الثالث

أبعاد المكان في شعر ميهوبي

أولا : البعد النفسي والاجتماعي :

للمكان أبعاد نفسية واجتماعية تؤثر في الذات البشرية سلبا وإيجابا ، وفقا لما يثيره من مشاعر وأحاسيس ، فهو المرآة العاكسة لهذه المشاعر ، إذ يقترن هذا المكان في البنية الذهنية الكائن بحزمة الدلالات الإيجابية والسلبية. (١)

واتخذ الشعراء من المكان ملاذا للحرية والدفء ، فيلجأون إلي أماكن عاشوا فيها وأثبتوا لأنفسهم حزمة من الذكريات وأعشاش الطفولة البريئة ،ففيها "أولى الأمكنة التي تدشن قيم الألفة لدى الكائن الإنساني" (٢) .

وقد يكون المكان مسكونا في حيالاتنا ، ومحفورا في أعماقنا دون أن نعايشه مباشرة، وتربطنا به علاقات قوية تجسد عمق الانتماء والتماهي مع مفرداته وأشيائه ، وذلك من خلال استنطاقه عن طريق الإحساس المرهف .

ويقوم المكان بشحن الإنسان بالطاقة النفسية والوجدانية ،فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة متجذرة ، وهي علاقة صميمة تقترب من درجة التقديس .

وقد اهتم الشعراء بالمكان وكان ارتباطهم به قويا "علي الرغم من أن بعضهم لا تربطه به روابط الذكريات ، لأنه لم يعش فوق ترابه إلا أنه يرتبط مع المكان نفسيا واجتماعيا ، بعد أن أصبح المكان من منظوره القومي مكانا له . (٣)

---

(١) شعرية المكان في الرواية الجديدة الخطاب الروائي لإدوارد الخراط نموذجا خالد حسين حسين صـ ٣٣٦ . مؤسسة اليمامة الصحفية الرياض سنة ٢٠٠٠م .

(٢) نفسه صـ ٢٥٥ .

(٣) الهم القومي في القصيدة الأردنية المعاصرة في كتاب الشعر في الأردن. طارق المجالي ص ١٢٩ . وزارة الثقافة عمان ط أولى سنة ٢٠٠١م .

وتوظيف المكان في النص الشعري إن أحسن توظيفه ، يجعل منه عملا يتجاوز زمانه ومكانه الأصلي ، لما يحمله النص الشعري من دلالات وقيم متعددة ، ولذا كان البحث عن إبراز دلالات النص وأبعاده النفسية والاجتماعية عملا مهما لفهم النص ، ومدخلا لا يستغنى عنه الدارس المهتم والقارئ المتذوق علي حد سواء .

ويتخذ المكان وجوده في النص الشعري عدة أشكال بعيدة عن الثبات ، لأنه متغير دائما من هذا الشاعر إلي ذاك ، بل عند الشاعر نفسه ، والذي قد يأنسنه ليبقى عليه، "وتعتبر الأنسنة من أروع القيم الجمالية في الفن ، لأنها رؤيا فنية فائقة لا تخضع للمقاييس المنطقية ، يضفي فيها الشاعر صفات إنسانية محددة علي الأمكنة ، وظواهر الطبيعة حيث يشكلها تشكيلا إنسانيا ، ويجعلها كأي إنسان تتحرك ، وتحس ، وتعبر وتتعاطف ، وتقسو حسب الموقف الذي أنسبت من أجله" .(١)

وعز الدين ميهوبي أحد الشعراء الذين وظفوا المكان نفسيا واجتماعيا في نتاجه الأدبي ، وأضفى عليه هاتين الدلالتين ، ها هو ذا يصور المدينة (المكان) دوحة لها قدرة الفاعلين علي تحويل الأشياء ، فيجعلها لوحة شتائية حزينة يمثل عمقها وجه شاحب ، محاولا أن يرسم علي تقاسيمه ابتسامة ، وفي عينية دمعة ، إذ تغالبه الأنات بينما تغني "الريح في" أرجائه فرحا :

رأيت المدينة دوحا تعري ووجها يسافر في كل واحه

عيونا معفرة بالأماني وقلبا يقلب سرا جراحه

مواسمها للشوارع تهفو وترسم في كل باب صباحه

(١) جماليات المكان في روايات عبد الرحمن منيف مرشد أحمد صـ ٢٧١ رسالة ماجستير مخطوطة جامعة حلب سوريا سنة ١٩٩٢م .

رأيت المدينة ريحا تغني وطيرا هوى حين قص جناحه[1]

فالشاعر ارتقى بالمدينة من مجرد مكان أو حيز مادي إلي فضاء إنساني ينبض بالمشاعر الإنسانية ، وبالحركة والحيوية ، فقيمة المكان بالإنسان الذي يبعث الحياة فيه من جديد ، وقد يتحول هو بذاته إلي إنسان، والزمن هو الذي يعطيه مكانته .

فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة فعل ورد فعل ، أي علاقة جدلية، فبقدر ما يؤثر المكان في نفسية الشاعر ، فإن هذا الأخير يؤسس له شعريا ، ويسعى للسيطرة عليه لغويا ، مع تحميلة قيما دلالية ورمزية إضافية ، قد لا تكون موجودة في الواقع المادي ، وهي تعبر عن معاني الحب القوى لوطنه، والإشادة بالتضحيات - لا المسح الجغرافي- حبا يحمل الكثير من الدلالات النفسية والاجتماعية إذ يقول :

وطني أكبر مني
وأنا أكبر من كل الجراح
وطني الطالع من روحي دما أخضر
من كفى لاح
وطني نسمة هبت علينا
تحمل الخير إلينا [2]

فهذا الوطن / المكان بالنسبة للشاعر قريب منه نفسيا واجتماعيا، يعبر من خلال هذه العلاقة عن معاني العزة والإباء ، وحمل هموم الوطن والتغني به علي الرغم من جراحه ، وبذلك جاءت صورة تنبصق بالحيوية والحركة والحياة ، وقد اختصرت اللغة المسافة والعلاقة بين الشاعر والمكان، الذي تحول إلي حضن له من خلال المواقف النفسية الحميمة ، فوطنه أكبر من كل الجراح ، وطن ممتزج بنفسه وروحه ، وهو بسمة تهب

(١) الرباعيات صـ ٣٩ عز الدين ميهوبي دار أصالة للإنتاج الإعلامي الفني ط أولى سنة ١٩٩٨م .
(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٢٠ ، ٢١ .

عليه بالبشر والاطمئنان الذي يحمل الخير في كل وقت وزمان رغم كل الجراح المكبل بها، وبذلك يغدو حب الوطن / المكان في ذات الشاعر كحب المرأة إذ يقول :

توهج حبك في ناظري فأبصرت بحر الهوى يناظر
وسافرت في لجة أزبدت وطفت بشاطئه الأسر
فحدثت فيروزه قاربي وهام بنورسه خاطري
وعدت وفي أضلعي خفقة وحبك يكبر يا شاعري[1]

وهكذا يتوحد عالم الحب والوطن في ذات الشاعر بعد تضاؤل المسافة الفاصلة بين العالمين ، بواسطة التجاوز الدلالي الذي أدى امتزاج لونه بلون الوطن / المكان ، وهذا يؤدي إلي الانتقال من الذاتية إلي تقمص الهموم الوطنية .

وقد أكثر الشاعر من الصفات المنسوبة إلي المكان / الوطن ، ليبرز قيمته في نفسه ومدى تمسكه به ، فهو وطن متوهج في ناظره ، فيروزه يحدث قاربه ، ونورسه هام بخاطره ، فأحدث حققه المشاعر في أضلعه ، فكان الحب الكبير الجزائر ، الوطن والذات، فهي الحب والفرح والجنة والروح والعمر ، واختصرها الشاعر في صفات أخذت قالب غنائي يبرز الاندماج النفسي والتفاعل مع المكان الذي تجلت فيه كل الصفات ،إذ يقول:

أنت الفرح
أنت المني
قلبي انفتح
أنت أنا
يا قلبي
يا جنتي

(١) الرباعيات عز الدين ميهوبي صـ ١٧.

لك روحي
لك عمري
لك عشقي
لك صدري
لك ما شئت بلادي
لك نبضي وفؤادي
وفمي والأغنيات (١)

اعتمد الشاعر في نصه هذا علي الجمل القصيرة ، التي تشبه الأناشيد التي تقال لإسعاد الأطفال في طفولتهم ، وكأنه يجعل من بلده شيئا عزيزا ، مثل الأشياء التي تختزلها الأناشيد بالنسبة للأطفال الصغار ، فالمكان/ الجزائر هو مكان النشأة الطفولية، ومنبع الأمومة والرحمة .

وقد يأتي المكان في شعر عز الدين ميهوبي مجردا من الأبعاد الرمزية، مبقيا علي البعد النفسي دون غيره ، وذلك من خلال حديثه عن السماء ، والبحر ، والجبل ، إذ أصبح كل عنصر عنده مكاني يكشف عن دخيلة من دواخله النفسية، ويطلعنا علي رؤيته للحياة والكون ،وإن كان ذلك تلميحا .

ويتخذ من السماء الواسعة بديلا عن الأماكن المحددة واقعيا ، فيجعل من حبل الأوراس رمز النضال والثورة والكفاح سماء حبلي بالخير الذي يأتي بالخصب والنماء، فالغيمتان والأنجم والنوارس توحى بامتلاء هذا الفضاء بالخصوبة والرزق ، التي نتج عنها سقى النخلة الأوراسية التي تطلع فيها الأحلام ،والآمال التي يريد الشاعر تحقيقها، إذ يقول :

تعلو جبينك غيمتان وأنجم ونوارس برية توحم

(١) جماليات المكان في الشعر الجزائري والمعاصر صـ ١٢٢ نقلا عن جزائر الكبرياء عز الدين ميهوبي مخطوط.

وقصيدة للراحلين مع الرؤى ظمأى لمنبعها يطوقها الفم

وأنا أموت ولست أبعث مرة إن الحياة مواسم تتكلم

إني سأطلع من شموخك نخلة حبلي بما يلد الفؤاد ويحلم (١)

أما البحر فإنه يشكل دون غيره من الأنماط المكانية – علاقة محورية وبؤرة مركزية في النص الشعري الجزائري المعاصر ، وبخاصة عند عز الدين ميهوبي حيث جعله يختزن الكثير من الأسئلة والاستفسارات التي يبحث الشاعر عن أجوبة لها عله يعوضه عن الغائب.

ويجري الشاعر شبه مقارنة بين خوف الأرض من البحر ، ورحيل الأسماك إلي البحر ، فهو مخيف من جهة ، ومكان اللجوء من جهة أخرى ،وهو هنا يحمل الحقيقة والدلالة النفسية ، إذ يقول :

ناديت البحر
لماذا يخافك قحط الأرض
وقافلة الأسماك
تشد إليك زعانف تحمل روح الماء ؟!
ناديت البحر
ففاض الموج (٢)

ويسيطر رمز البحر / المكان علي مخيلة الشاعر فيراه لا كما يراه الناس رمزا للغربة والتشتت ، بل هو صورة الغرب الماسخ لأصالة الشاعر ، إذ يقول :

لن أسقط في عينيك
فأحمل نعش الرؤيا
ويصلى البحر علي
وأمنح صكا للغفران

---

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ١٧ .
(٢) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ١٣ .

لأ كمل مرحلة
التدجين (١)

فالبحر استحال في نظر الشاعر إلي قس يصلى عليه بعد خروج الروح من الجسد ، ويحمل في نعش ، ويمنح صكا للغفران ، كي يمحو كافة الأخطاء التي اقترفها ، والمتمثلة أساسا في انتماء الشاعر لوطنه ورفضه لتدجينه ، ليشير إلي الصراع بين من يمتطي صهوة البحر ، وبين محبي الوطن .

ومن هنا ينادي الشاعر علي البحر لماذا يتمدد الرمل عبر الشاطئ ؟ فيجيب بأن تمدد الرمل عبر الشاطئ ، وملازمته للبحر دلالة صريحة عن أن الوطن كتلة واحدة ببحرها وصحرائها في مواجهة الآخر الذي يأتي من خلف البحار ليريد الاستيلاء علي الأرض ، فيقول مصورا ذلك :

ناديت البحر
لماذا الرمل تمدد عبر الشاطئ
ينتظر العودة نحو البدء
ويغمض جفنك
مسكونا بالصبر
ورائحة الصحراء (٢)

فعندما يرتبط الشاعر بالبحر، يصبح هو الملهم والموجه لهذه الشخصية التي تغترف منه ، فهو الصديق ، والعدو ، والقريب، والبعيد ، والملهم للإبداع الفني للشاعر يناجيه وينادية .

أما الجبل فقد وظفه الشاعر ليبرز من خلاله مرجعيته التاريخية وتمسكه بالأرض، وليبرز انتمائه لمسيرة النضال المتواصلة .

فالأوراس / الجبل لم يعد ينظر إليه أنه جبل أو مكان صخري فحسب ، بل هو رمز للثورة الجزائرية في مراحلها ، وعند كل جيل ، حيث تحول إلي تاريخ وشاهد علي التحول والهزيمة ، وأخذ كينونته من عظم الأحداث التي

(١) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ١٢ .
(٢) نفسه صـ ١٣ .

وقعت به ، فكان لازمة شعرية يلجأ إليها الشاعر عز الدين ميهوبي علي المستوى النصي، أو علي مستوى العنوان ، فقد جعله منطلق ديوانه الأول "في البدء كان أوراس" ، حيث انطلقت قصائده من الأوراس الأشم ، لأنه الرمز الذي يسافر مع الدم والحرف والروح، لأنه الرمز الذي لا بديل له إلا "أوراس" فهو قصيدة الأزمنة والأمكنة ، والبدء والمنتهي :

أوراس يالغة الزمان ويا فما متفجرا

في البدء كنت قصيدتي والبدء فيك تحدرا (١)

ويرى فيه الشموخ والعزة والمكانة متجاوزا كل الحدود ، إذ يقول :

أوراس
جئتك مرتين
وما عشقت سوى شموخك (٢)

ويجعله الشاعر رمزا لكل من تمسك بالوطن إذ يقول :

أوراس يلتحف الشهيد بصخره وتطير من كف الشهيد الأسهم

وهناك يغتسل الصباح بنوره وتذوب من فرط الضياء الأنجم

أأوراس يا قبلة للفداء يطوف بها الدهر والشهداء

أغار عليك من الدهر لكن أغار أنا منك عند المساء

أوراس لو كان العشق تاج لعانق مجدك فلك السماء

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٥٦ .
(٢) نفسه صـ ٢٧ .

غدا تخرج الشمس من كل كف لتعلن للكون عن مولدي

غدا يزرع الله في كل شبر شهيدا تهيأ للموعد[1]

فقد جعل من الأوراس / الجبل إنسانا يمتلك لحافا وعاطفة تجاه الشهيد ، وأبقى علي الصخر بعض لوازم الأوراس الذي احتل مكانة قوية في ذات الشاعر ،حيث جعله قبلة للفداء يطوف بها الزمان والشهداء ،إذ يقول :

فالأوراس لم يعد ذلك الجبل الجامد المتحيز في مكان، إذ نفح الشاعر فيه من روحه وأصبح ذاتا تستحق التمجيد والإكبار والعشق ، ومن شدة ولهه به مكانيا ونفسيا، توجه ملكا للعشق ، ولو كان للعشق تاجا لعانق مجده فلك السماء ، وذلك نظرا للبطولات التي قدمها للأمة أثناء ثورة التحرير ، وبذلك أصبح رمزا للأمل والتفاؤل والبشائر، مؤكدا ذلك ببدء مطالع البيتين الأخيرين ب" غدا" ، وتدعيم هذه المقولة بالصور المشعة في قوله: " غدا تخرج الشمس من كل كف " و"غدا يزرع الله في كل شبر شهيدا" ، وبذلك يجعل الشاعر ميهوبي الأوراس / االجبل من مجرد سلسلة جبلية إلي رمز صوفي يتوحد معه، ويذوب فيه عشقا وولها، إذ يقول :

متى سأرسم عشقا أنت منبعه
إذا ذكرتك كنت الحلم يا وطني
وكنت تسبح في روحي وفي جسدي
وكنت رحلة عمر بت أسأله
أ في الترب يذوب العمر للأبد

هذه العناصر المكانية السابقة (السماء – البحر – الجبل) عناصر إيجابية، تحمل دلالات نفسية تمكننا من الاقتراب من عالم الشاعر .

وتأتي النخلة "كفضاء رمزي قادر علي احتوء معاني الحياة في المكان المقوض بصورة رمادية شاجية ، ويعود اهتمام الشاعر العربي برمزية

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٤٣ .

النخلة علي أنها مثل الوطن الذي يمنحه الطمأنينة والسكينة ، وتدفع عنه جبرروت الصحراء ، ووحشة رمالها" .[١]

ويتخذها عز الدين ميهوب أنيسا له ، ويرى أنها تقاسمه آلام الغربة وتبادله الحنين إلي مسقط رأسه ، إذ يقول :

لماذا اغترابك يا نخلة
كنت علقت -يا ويلتي – كنت علقت
عمري الذي أعلن القادمون مع الريح نحوي
إنتهاء البداية
والموت خلف القوافل
والبحث عن رحلة الصيف [٢]

فالشاعر يعاتب النخلة أحد مظاهر المكان ، ويرى أن غربته من غربتها إلا أن غربة الشاعر هي الغربة التي يحسها أي إنسان حاضر في ظل زحام الناس حوله ، فهو إذ يخاطب النخلة فإنه يخاطب ضمير المجتمع فيها ، ويخاطب الأقدار التي رمته بسهامها ونبالها وجعلته غرضا ، ويتستر وراء وجع النخلة وغربتها ليسقط عليها واقعة النفسي الذي يشعر به مع كثيرين .

ثم يبين الشاعر أن مهما حدث ويحدث فإنه مرتبط بالمكان، وأنه سيبقى واقفا فيه صامدا صمود النخلة ، يستعير منها كبرياءها وصبرها ، إذ يقول :

يا عصافير زماني
امنحي قلبي مفاتيح الرؤى
واشتري عطرك
وامنحيني
مطرا أو عاصفة
أو ورودا نازفة

---

(١) دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث عبدالله البردوني نموذجا ، ملامس مختار صـ ٥١ .

(٢) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ٤١ .

يسقط العمر وأبقى
مثلما النخلة
دوما واقفة (١)

والتعامل مع المكان "لا ينحصر في استعراض محتوياته وصوره بل ينبغي أن يعاش كتجربة ، ولن تتم الكتابة عن المكان بنجاح ما لم نعانِ من هذا المكان بعض النظر عن كيفية المعاناة" (٢)

وقد تكون المعاناة واضحة ، فها هو ذا عز الدين ميهوبي يختصر المدينة في إحدى رباعياته ، ضمن لوحة شتوية حزينة يمثل عمقها وجه شاحب ، محاولا أن يرسم علي تقاسيمه ابتسامة ، وفي عينية دمعة إذ تغالبه الإنات، بينما تزعزد الريح في أرجائه فرحا إذ يقول :

رأيت المدينة دوحا تعري ووجها يسافر في كل واحه
عيونا معفرة بالأماني وقلبا يقلب سرا جراحه
مواسمها للشوارع تهفو وترسم في كل باب صباحه
رأيت المدينة ريحا تغني وطيرا هوى حين قص جناحه(٣)

وهي مدينة مطاردة تطارده في مكان ، وتأتمر من طرف الجناة والطغاة، لأنه يحمل السر الدفين والحقيقة التي يخشى هؤلاء من اكتشافها ،وأصبحت المدينة طيعة في أيديهم ، بل وأصبح هؤلاء يوشحون بوسام النصر،علي الرغم من كل ما فعلوه بها، إذ يقول :

يا هذا الشاهد

---

(١) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٦١ ، ٦٢ .
(٢) المكان في النص الشعري العربي عند سعدي يوسف وعز الدين المناصرة صـ ٨ ماجستير مخطوطة جامعة قسنطينية ، فتحية كحلوش سنة ١٩٩٦ م.
(٣) الرباعيات صـ ٣٩ عز الدين ميهوبي دار أصالة للإنتاج الإعلامي الفني ط أولى سنة ١٩٩٨م .

حاصرني الإعياء
وكل مدائن هذا الكون تطاردني
وتكافيء من يقطع كفى
بوسام يحمل شارة قوس النصر (١)

فالشاعر يعيش غربة مكانية وحضارية ، وكل المدائن أضحت تبحث عن من يقطع أحلامه "وتكافئ من يقطع كفى" ، وقوله: "يحمل قوس النصر" رمزا دالا علي قطع الأحلام في إشارة إلي الاستعمار الفرنسي ، فالشاعر استدعى علامة دالة ومميزة لفرنسا وهي "قوس النصر" الذي تحول من معلم مكاني إلي رمز للبطش، وإلغاء حرية الآخرين .

فالشاعر يرصد أحساسة باليأس في بيئته المنهارة جراء العنف الدموي الذي عاشته الجزائر ، وهذا نابع من إحساسه بالاغتراب النفسي داخل واقعة، ومن عدم قدرته علي فهم الواقع نتيجة لضغط المكان عليه، إذ يقول:

إنه الليل
يجيئون أولا يجيئون
لا فرق .. هم يعرفون
وانتظر الموت تحت الجدار
سلونى غدا
ربما كنت حيا وقد لا أكون
وحدهم يعرفون (٢)

ويرجع عز الدين ميهوبي هذه المعاناة في بلده إلي قلة التبصر والتفكر في أوضاع المجتمع ، مما أدى إلي تجرع مظاهر الخيبة والانهيار والموت مما وضع المكان في كارثة اجتماعية جرت علي الأرض :

في بلادي
كل شيء بثمن
حبة الملح وأعواد الثقاب

---

(١) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ١٨ .
(٢) كاليغولا ، عز الدين ميهوبي صـ ٦٥ .

جرعة الماء
ومفتاح السكن
كل شيء بثمن
ما عدا الإنسان خذ ما
شئت
ومن غير ثمن (١)

فالانهيار الأخلاقي هو سبب تمزق الوضع الاجتماعي في المكان أو البيئة الجزائرية .

وقد تكون المعاناة شاملة تتجاوز المكان الضيق إلي الوطن الواسع الذي يشمل كل الأمكنة ، ويكون الشاعر هو المعبر عن هذه المعاناة الجماعية ،ومن ذلك قول عز الدين ميهوبي :

أنا من بلاد

ربما تنسى ولكن لا تخون

تمشى علي جمر المسافة والمواجع والجنون
وتنام من تعب ككل الأمهات
وتقتفي كحل العيون (٢)

فالمعاناة النفسية شاملة لا تقتصر علي شاعر دون آخر ، لأن الخلاص لا يكون إلا جماعيا ، والشاعر عز الدين ميهوبي آمن بذلك وسعى إلي تحقيقه شعريا، وكان اهتمامه بالمكان واعيا علي المستويين النفسي والاجتماعي.

فالشعر عنده ليس تبصيرا فقط بل مانح للجمال الحياتي والكوني لأنه يسعى دائما إلي تحقيق دولة الجمال التي قانونها إقامة الحرية بالحرية ، ذلك الذي لا ينشأ من وصف العالم الخارجي والأشياء ، بل عبر حركة جدلية متولدة من فعل التصادم بين العالم الإنساني ، وعالم الأشياء ، إذ يقول:

---

(١) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٥٦ .
(٢) عولمة الحب عولمة النار عز الدين ميهوبي صـ٣١ .

نزع الفرصة في كل العيون
وتغني الصغار ألفوا البسمة فينا
نرسم الفجر بأهداب الجفون
فتصير الأرض منا ياسمينا (١)

فالدلالة النفسية هي محصلة الدلالة الاجتماعية ، لأن المكان قبل أن يتحول إلي ذات الشاعر هو في الأصل مكان اجتماعي فالدلالات متواشجة ، وهي مصب ردود فعل الشخص / الشاعر ، علي مستويات عدة نلخصها عادة ،فنقول إنها المستوى النفسي.

علي أن هذه الأبعاد ليست هي الوحيدة التي ينطبع بها النص الشعري ، بل هناك أبعاد أخرى مكملة لها أهميتها ،هي البعد الوطني والسياسي .

ثانيا "البعد الوطني والسياسي":

شغلت مقوله الوطن فضاء واسعا بالغ الأهمية في تجربة عز الدين ميهوبي بدءا من ديوانه الأول "في البدء كان أوراس" ، وهي معادل موضوعي لحب المكان الذي أسس لرؤيا الشاعر في تعاطه مع واقع أمته ، فاستحالت الأمكنة مكانا واحدا، تتقاسم الجرح والألم ، وتتطلع لغد مشرق تنعتق فيه من ربقة الواقع المتأزم ، وتجسد القصيدة الرؤيا التي تحمل فلسفة الشاعر.

وعلي هذا ، فلا عجب ! أن وطن الشاعر لا حدود له ، يرسم تضاريسه بلغته الشفافة ، ويعانق فيه روح الحياة ، ويسبغ عليه أحلامه التواقة لغد جميل ، متجاوزا الحدود التاريخية والجغرافية ، إلي آفاق رحبة ، في علاقة حب لا متناهية ، لأن الوطن هو الهوية وليس الخريطة الجغرافية فقط ، وشهادة الميلاد لا تكفي للانتساب إليه ، هو المنفي في الداخل ، والأمل في الخارج، والبؤرة المركزية التي تستقطب تفاصيل الحياة ، فحبل الود موصول بالرغم من معرفة الإنسان ، والذات المتجذرة في هذه المعرفة

(١) الرباعيات عز الدين ميهوبي صـ ٨٢ .

قد تتطلب زمنا طويلا للوصول إليها لتحقيق الذات في رأي الشاعر، إذ يقول:

غريب عن الحي
أبصرني واقفا مثله قال لي :
غربتي وطن في تجاعيد عمري
وهذا غريب المدينة يتعبني
فلمن كل هذه التوابيت (١)

الغربة المكانية تحيط بالشاعر ، فهو غريب في وطنه ، الذي انتشرت فيه الفتن فأتت علي الأخضر واليابس ، وكثرت فيه توابيت الموتى ، وأصبحت الأيام كلها متشابهة بخريفها المتعب، فتحول الزمن عنده من مفهوم مادي إلي مفهوم نفسي ، مما يعبر عن مأساة الوطن بطريقة غير مباشرة ، إذ يقول في قصيدة "الفستان" علي لسان فتاة :

هل يجئ غدا ؟
وأراكم جميعا تحيطون بي
وأقبل رأس أبي
هل يجئ غدا
دون نعش مسجى علي هدبي
قمري هل يجئ غدا ؟
لاتقولون لى : أبدا (٢)

فالشاعر تتملكه حالة شعورية واحدة وهي المعاناة التي يقبع تحتها الوطن / المكان ، جراء الظروف الصعبة التي مر بها ، حيث تتمثل فيها المعاناة بمدلولها الدرامي ، الذي استحالت إلي رمز يميل بالدلالات المأساوية ، التي تتعمق دلالتها أكثر عند تكرار الفتاة سؤالها عن غدها المنتظر ، الذي ستحيل فيه حياتها إما إلي عروس أو جنارة ، وهذا يدل عل

(١) عولمة الحب عولمة النار عز الدين ميهوبي صـ ٥٢ .
(٢) عولمة الحب عولمة النار : عز الدين ميهوبي صـ ١٦٣ .

الأفق المظلم الذي يخيم علي البلاد، مما أفقدها الحلم والاستشراق ، وهذا ينم عن خلفية سياسية واضحة لدى الشاعر الذي آلمه ما يجري في الوطن .

وعز الدين ميهوبي من الشعراء الجزائريين الذين كرسوا حياتهم للوطن وهمومه ، وأصبحت بينهما حميمية ناتجة عن معرفة أكبر بالمكان، مما جعله يكرس ديوانا كاملا لهاجس الوطن وهمومه ، فكان ديوانه "الملصقات" حيث إنها تتميز "بكونها تجربة لكتابة البيان الشعري الذي يفصح عن الواقع ، وتعرية لواقع يريدون تشكيلة وفق مصالح ذاتية ، لذلك نراه يجعل من مصلحة النحن فوق كل المصالح ، ويجعل حب الوطن في أعلى مستويات الحب . (١)

وقد هيمن المكان / الوطن ، علي الملصقات ، إذ هيمنت عبارة "في بلادي" الدالة علي الوطن ، علي كل الملصقات اعتدت السرد الشعري والقصر واللمحة الدالة، إذ يقول :

في بلادي
تكثر الحيتان
أنا إن حاولت شيئا
قال لي السلطان
أنت إن حاولت
شيئا
حاولت الحيتان
لا أرى شيئا
بقصري
اسمه الإنسان(٢)

تعكس هذه الأسطر ما يعتري الشاعر من تحسر وسخرية من الوضع السياسي في البلاد / الأماكن ، فهذه المعاناة فجرها معجم شعري يدخل في عمق نفسية الشاعر، فلفظة (الحيتان) هنا تدل علي أصحاب السلطة في

(١) ملصقات عز الدين ميهوبي ، ديباجة أ. يوسف وغليسي صـ ١٢ ، ١٣ .
(٢) ملصقات عز الدين ميهوبي ، ديباجة أ. يوسف وغليسي صـ ٨٥.

الوطن ، ومدى سطوتهم علي الشعب الضعيف الجائع ، المهمش في كل مكان من الوطن .

وقد ألصق الشاعر بالمكان المضطهد جراء ما يحدث كل الصفات التي توحى باليأس ، فهو عرسة الموعود الذي توهمه بالجراح التي تأتيه في كل المواسم ، وحبه المؤرق الذي انكسرت بسببه كل المرايا ، ريحه موبوءة عطشي ، أحلامه موزعة ، طيور الخير فيه تختنق ، دم الأحبة فيه مذبوح بتربته ، والمآذن نالها الشنق ، ليبرز الصورة القاتمة ،ويوحي بالحقيقة المرة لما جرى ، إذ يقول :

أوراس يا عرسنا الموعود توهني جرح المواسم أه إن هم احترقوا

لسنا محبين يا أحبابنا انكسرت كل المرايا وهل يكفي الهوى الأرق؟

موبوءة ريحنا العطشي موزعة أحلامنا وطيور الخير يختنق

وليت وجهي شطر الأرض ألهبني العين بالعين والمأساة تنسحق

دم الأحبة مذبوح بتربتها وألف مئذنة يا ويحهم شنقوا (١)

كما حملت القصائد المكانية ، دلالة التيه، والفقدان ، بعدما استبيح كل شيء ، ولم يبق في الوطن الجزائري إلا الجراح ، يرجع الشاعر ليستريح من هول الموقف ، ويقر بالفاجعة، وهو في رحلة البحث المستمرة لاسترداد الوطن ،وبيان التردي السياسي فيه، إذ يقول :

حكمة مستهلكة
في بلاد المملكة
قال لي النهر مساء
إن في أحشاء مائي
سمكة

(١) عولمة الحب عولمة النار صـ ٩١ .

وعلي الضفة يبدو ألف
صياد
بألفي شبكة (١)

في هذه الأسطر الشعرية نلمس الحزن والألم في نفس الشاعر، وبيان التراجع السياسي في هذا الوطن ، مما جعله يتكئ علي الاستعارة المكنية بأن جعل الإنسان مشبها به ، وجعل النهر هو المشبه ، ثم حذف المشبه به وصرح بالمشبه (النهر) ليصل إلي الدلالة المتخفية ، والتي أراد بها الشاعر تعرية الواقع ، وكشف مدى انحطاط أصحاب السلطة في الوطن ، والصراع حول الزعامة علي حساب الوطن والمواطن ، مما جعله يتفاعل مع المكان وينتهي بصورة من محيط واقعة ، ولم يجد ما يقاوم به هذا الواقع المزري سوى تسجيل شهادته الشعرية .

ها هو ذا يجيب ذكرى الوطن ويظهر مدي تمسكه به عندما باعه الساسة، فيعتمد علي نصوص شعراء الثورة ،خاصة نصوص – مفدي زكرياء- فالثورة هي المرجع ، والوطن هو الحب الأبدي المتجذر بهيمنته في القلوب ، نتيجة هيمنته علي نفس الشاعر:

جزائر يا نبضة من شموخي ويا بسمة طلعت من دجاي
جزائر يا نغمة في فمي ويا ألقا طابعا من دمي
ويا جنة جئتها فرحا كطفل بأحضانها يرتمي(٢)

فالجزائر هي النبض ، وهي البسمة والنغمة ، والجنة ، وهي الحلم الذي يراود الجميع ، حلم لم يتعد الأمنية في أن يبقى الوطن متماسكا أمام المحن والفتن ، فكل ما حل بالوطن من مكاره يبذل الشاعر نفسه من أجله إلا أن ذلك لا يمنع من وجود مجموعة قيم بني عبرها الشاعر رؤاه ، والتي

(١) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٥٨ .
(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ١٦ ، ١٧ .

يرى قيمتها في تحقيق التوازن والاستقرار، مثل قيمة التفاؤل الفرح، التي تكون الجسر الذي يمر فوقه الوطن، إذ يقول:

قلت حين انتبذت مكانا
من الروح
من يشتهي – فليكن –
لحظة من فرح [1]

فالملاحظ لدى الشاعر أنه يرتكز علي قيمة التفاؤل ، وكأنه يدعو إلي عالم بديل، ولكنه ماثل داخل العالم الواقعي .

ويتعمق الإحساس بالمكان عندما تكبر الأماني عند الإنسان وتتسع دائرة الأحلام، فيغدو المشتهي شارعا منيرا بالفوانيس ،إذ يقول :

اشتهى شارعا يكبر الناس
فيه فوانيس للحب [2]

ويقترب الشاعر من صور الوطن التعبيرية التي ورثها عن جيل الثورة، فيكتسب صورة الخصب والنماء، حيث يربط الشاعر الوطن بالمرأة فيجعلها معادلا موضوعيا للوطن ، تعبيرا منه عن الحالة التي آل إليها الوطن ، إذ لم يجد مخرجا للتعبير عن حالة الوطن إلا باستغلال رمز المرأة ، فيحن إليه كما يحن إليها ليجدد ذاته ، إذ يقول:

كوني القصيدة إن أردت حصاري واستنفري في مقلتيك بحاري
وتوزعي بين الضلوع فإنها باتت بحرقتها تهيج ناري
وتحسسي قلبي فإن دماءه تعبت وتاهت خطوتي وديارى

(١) عولمة الحب والنار عز الدين ميهوبي صـ ١٢٨ .
(٢) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ١٢٥ .

كوني القصيدة مرة وتمنعي أن شتت سيدتي فذاك شعاري[1]

فالشاعر متبرم من الواقع السياسي القاسي ، ولم تجد روحه سلوى لأحزانها في عالم الناس فأدت إلي عزلتها في عالم المرأة ، العالم المفعم بالسحر والجمال ، فهو لا ينظر إلي المرأة كعلم من جسد وروح ، ولكنها تحيل في الحقيقة إلي الوطن الذي استحال منبعا للحب الذي استغرق كيان الشاعر وذاته .

وعندما ينشغل الشاعر الجزائري بتتبع الأحداث السياسية، ويرصد المتغيرات التي حدثت في وطنه ، ويأتي شعره متوائما مع إيقاع الحياة الجديدة ومتغيراتها السريعة ، كانت ملصقات عز الدين ميهوبي تحمل الهم السياسي ، وتعبر عن رؤيته للأحداث التي قر بها الوطن/المكان، إذ يقول :

في بلادي
ساد تجار المبادئ
صادروا الشمس
وحين الشمس بانت نورسا بين الموانئ
أعلنوا في الناس حالات الطوارئ [2]

ويتجلى من جديد عودة الوطن المثخن بالجراح في شعر ميهوبي في ديوانه "اللعنة والغفران، ليشهد علي الموقف التاريخي الذي حاول فيه البعض قتل الوطن ، إذ يقول :

مر عام

مر بي نعش

سألت الناس من ؟

قالوا وطن

قلت مهلا

(١) الرباعيات عز الدين ميهوبي صـ ١٧ .
(٢) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٥٠ .

وطني أكبر من هذا الزمن [١]

ورغم ذلك فوطن الشاعر أكبر من كل المصائب والمثالب والأخطاء، وسيظل مرفوع الهامة ومرسوما في قلب الشاعر .

ونتيجة للسياسات الخاطئة للسلطة السياسية في الجزائر كثر القتل والعنف ، حيث تتبع الشاعر ميهوبي بوعيه الشعري والواقعي مختلف الظواهر الاجتماعية التي لها علاقة بالسياسة ، والتي وسمت الوضع الاجتماعي بالانهيار والتأزم والانفلات ، حيث انتشرت مظاهر الموت والاقتتال حتى طال الأطفال والنساء ، فيعلن الشاعر استنكاره ، ويتحسر علي الوضع الذي آل إليه المكان بسبب أخطاء الساسة ، إذ يقول:

حتى النساء
يا وحيهم قتلوا النساء
ذبحوا الأجنة في البطون
خانوا السماء
سرقوا من الشمس الضياء
يا ويحهم ذبحوا الصغار
لا فرق بين دم وماء [٢]

وبمقابل هذه اللغة الحزينة لغة الدم لواقع سياسي فاسد، نجد أن الشاعر يحدوه الأمل في يوم جديد ،إذ يأتي الشاعر بومضة تثير دهشة القارئ ، فعند قراءته لهذه الأبيات يتبين له القائمة التي تحتوي علي أسماء أشخاص ، ليفاجئه الشاعر بأصوات القبور وهي تصيح لإيقاظ الأمة النائمة ، إذ يقول :

من هنا تبدأ القائمة
ألف قبر يصيح
ويستنهض الأمة النائمة
ألف جمجمة بين أيدي الطغاة غدت آثمة
قبل عام

---

(١) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٤٦ .
(٢) كاليغولا عز الدين ميهوبي صـ ٣٥ .

رأيت القبور تداس[١]

جاءت هذه الفكرة الشعرية مصاغة في ألفاظ بسيطة مكثفة دلاليا تثير انفعالات المتلقي، وكأن الشاعر بقلبين قلب يسيطر عليه الحزن ، وقلب يحده الأمل في مستقبل مشرق ، حيث يتحول السقوط إلي نهوض ، إذ يقول :

إن الجزائر من دمعي ومن دمكم
وألف ألف شهيد باسما ... سقطا
إن الجزائر يا أحباب
ما انكسرت
لكنها انتصرت
والعقد ما انفرطا [٢]

فالشاعر عز الدين ميهوبي في أشعاره كان يجعل الأمل طريقة للقارئ الذي يجب أن يسعى إليه ويؤمن به ، وإن لم يستطع فيبكي الأمل ثم يعود إلي ما كان عليه ، لأن الحزين من الداخل لا يستطيع أن يستمر في حياته :

ستطلع رغم المواجع
شمس الوطن
فلا تيأس
ستبقى الجزائر شامخة مثلكم
رغم أنف المحن ؟[٣]

ولذلك يرى عز الدين ميهوبي أن التغيير فعل جماعي ، والذات بمفردها لا يمكنها أن تغير الواقع ، مبرزا دور الجماعة في تحقيق الانتصار المكاني ، إذ يقول :

دعوا الشعب
يجدل من روحه القمة الناجمة

---

(١) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ١٤٤ .
(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ١٤ .
(٣) نفسه صـ ٧٥/٧٧.

ويعيد لأمته نبضها العربي
والمهرب في الأعين الفاضحة
دعوا الشعب
يصنع مستقبلا يشتهيه
ويبعث ما بين سمرته النازخة
دعوه فإن الذي يصنع المجد ليس الزعيم
ولكنه الشعب والأمة الصالحة (١)

إن تفاؤل الشاعر ناتج عن رؤيته التي تؤمن بالتغيير علي مستوى الزمن المستقبلي ، واستئنافا ضد الزيف والقمع في الواقع والذي لابد من مواجهته بوعي متجدد .

والشاعر الوطني هو المرتبط بالمكان وشعبه وتاريخيه الناصع ، ومن واجبه المواكبة والتحفيز، وليس الانغماس السياسي الفج القائم علي ترديد الشعارات .

ثالثا : البعد التاريخي والديني :

يشكل البعد الديني والتاريخي ثالث الأبعاد في شعر عز الدين ميهوبي، الذي يسعى فيه إلي الارتباط بالجذور ، والاتكاز علي الماضي لإصلاح الحاضر ، حيث يحاول الشاعر من خلاله أن يتمثل تاريخ الأمة "ليس فقط التوظيف النص فنيا ، وإنما ليستمد شرعية البناء النصي" ، [٢]فتاريخ الشعر هو تاريخ المكان .

والشاعر في أي زمان ومكان بحاجة ماسة إلي التاريخ، وهذه الحاجة تزداد "كلما تضاعفت أزمة الهوية لدى المجتمع ، وتعمق الإحساس بضياع الوطن ، وبقدر مايحس الشعراء بالاقتلاع من ذواتهم ، والغربة في أرضهم

(١) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٨٠ .
(٢) مراوغة النص حسين حمزة صـ ٣١ ط دار المشرق فلسطين ط أولى سنة ٢٠٠١ .

، يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكثف جهدهم في بناء مدن متخيلة باللغة ، أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ" . (١)

ولذلك فهو يتكئ علي المكان ليجعله مكونا شعريا مهما في النص ، فالشعر "يقدم بناءً فنيا للمكان الزماني ، ويتم هذا البناء بواسطة اللغة التي يعمل الشعراء علي تخصيبها ، وبث حركية الإبداع في تراكيبها" . (٢)

فبقاء المكان عبر الزمن دليل علي الاستمرار ، وعلي الرعاية التي يتلقاها لأنه عنوان هذا الإنسان ، وفيه يظهر تاريخه ومجده ، لذلك لا غرابة في أن يعتمد الشاعر علي الخلفية الدينية والتاريخية في تشكيله للمكان .

فالقدس مثلا تشكل خلفية مهمة لدى الشاعر عز الدين ميهوبي كرمز شعري لا يكتفي بالذكر الحرفي لها للدلالة علي ارتباطه برموز الأمة ، بل ليبرز قيمتها وقيمة النص ، ومدى تأثيره في حركية الأمة ، وليربط القاري بتراثه التاريخي المجيد ، وحضارته الرائعة ،فيرسم لها صورة حقيقية في مخيلته ،ويجسد حبها في نفسه شعريا،لأنها الفردوس المفقود الذي يحن إليه ، والتاريخ الثري بالأحداث العظام ، فهي قريبة منه مكانا بعيدة عنه تحقيقا إذ يقول :

وتبقى المدينة تبكي
تنادي الذين يموتون
مثل الجراد
تنادي
وتغمض جفنا
وتبحث عن حلمها المستحيل
قد مضعته البلاد
وفاضت عليه الدماء
وأصبح في آخر الشوط

---

(١) المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا سنة ١٩٢٥ – ١٩٦٢م إبراهيم رماني صـ ١٩٦ ط الهيئة العامة للكتاب مصر سنة ١٩٩٧م .

(٢) إضاءة النص اعتدال حسن صـ ٧٢ ط دار الحداثة لبنان ط أولى سنة ١٩٨٨م .

كوم رماد
وتبقى المدينة
تبحث في الحلم عن فارس
يدخل القدس
دون جواد [١]

فالقدس قد تحولت إلي رمز مكاني ديني وتاريخي لن ينسى، ما دام الشعراء يستدعونها من جديد في نصوصهم الشعرية ، التي تعمق دلالة البعث للمكان الذي يجسده الفارس المنتظر ، الذي سيدخلها دون جواد ليعيد لها مجدها التليد ، ويبعثها من جديد معمقا هذه الفكرة عن طريق ارتكاز بنيات النص علي الفعل المضارع "تمر ، تبقى ، تنادي ، تغمض ، تبحث ، يدخل" مما هيأ جوا من الحركة والتغيير وعدم الثبات ، والاستمرار في الحلم عن بعث قادم ، مما جعلها تبرز في النص كما برزت في القلب والذاكرة في صورة جميلة مرة ، وفي صور مأساوية مرات عديدة .

وعز الدين ميهوبي مثله مثل كثير من شعراء العرب الذين لا يلتفتون إلي أماكنهم التاريخية والدينية إلا في مرحلة الفقد والضياع ، لذلك فهم يؤمنون بعودتها مهما طال الزمن إلي حظيرة الإسلام، وهذا لن يتم إلي من خلال العودة إلي الذات ، في قوله :

قسما بأطفال الحجارة بالدما بالقبلتين بجنتي بجهنمي
قسما بزيتون يقاوم بالنوارس بالقنا بابا للغي بالعلقم
وطن سيأتي للشوارع نبضها حجر يعيد الشمس بعد تبرم
وطن لأطفال الحقيقة ينتشي بالصحو يرقص للحجارة للدم[٢]

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ٢٢٢ .
(٢) عولمة الحب عولمة النار عز الدين ميهوبي صـ ٨٥ .

ونظرا لأهمية القدس المكانية والتاريخية والدينية ،كان المقسم به في هذا النص أمورا رمزية تاريخية في ذاكرة المكان المقدس (القدس)التي تحضر في النص بمعادلاتها الموضوعية ، مشكلة بؤر دلالية من "أطفال الحجارة ، والقبلتين والجنة ، وجهنم ، والزيتون ، والنوارس ، والعلقم ، والحجر، والشمس ، وأطفال الحقيقة ، والصحو ، والدم" وهي بؤر تعد من مصاحبات الرمز المكاني التاريخي / القدس ، كونها تمثل المركز في وجدان الشاعر والأمة ، فالحَجر كوسيلة للدفاع هو الذي سيعيد للقدس عزها ومجدها ، لأنه رمز النضال والمقاومة ، والبحث المستمرع عن ولادة جديدة يكون فيها استشراف لمستقبل أفضل، يعيد الشمس بعد تبرم ، ووطن ينتشي بالصحو ويطرب لأصوات الحجارة ،ويسعد بالدم المبذول في سبيل تحرير القدس، وعودة بهائها وجمالها وعزتها .

ويحاول الشاعر أن يوقظ الضمير العربي النائم عن طريق تعرية الواقع الذي تعيشه القدس من تهويد، ومحو هويتها الإسلامية ،إذ يقول :

يا لهف نفسي قدسنا غرقت هل من سفين ينقذ الحجرا

أخشى وما أخشى أيا وطني أن تلحق القدس أم قرى

كم ذاد عن عرض الحمى عمر واليوم لا نلقي عمرا[1]

ومن أجل تعميق دلالة العودة إلي الذات المسلمة التي حررت القدس قديما ، وظف الشاعر رمزين تاريخين هما "القدس" و"عمر" (رضي الله عنه)، فالقدس رمز الديانات، وعار علي المسلمين والمسيحيين أن يتركوها لليهود أرضا مستباحة لا أهل لها ، فيقول:

أين الأهلة ؟ والصلبان التي صلبت ؟ أين الأحبة ؟ هل شقت لهاتفنا [2]

(١) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ١٩٩ .

(٢) في البدء كان أوراس – عز الدين ميهوبي صـ ١٢٤ .

فهو يدعوا إلي التمسك بصفات الذات لمقاومة الواقع ، وذلك لا يكون بالانعزال ، وإنما بالتحدي النابع من خصائص الذات المبدعة ، التي تتمسك بالوطن وترفض الرحيل ، رغم الظروف القاهرة والدموية.

وفي خصم هذه المأساة نجد ذواتا تحترق من أجل التمسك بالمكان ، نستطيع الحكم عليها بالثبات علي المبدأ ، واتخاذ التضحية مسارا وموقفا لمقاومة الواقع ، مؤكدا علي أهميتها ودورها في الحفاظ علي تاريخ الوطن ووجوده ، الذي هو في عمق ذاته ، إذ يقول :

فإن لم تمت أنت
هو
هي
هم
هن
نحن جميعا
فيا صاحبي كيف يحيا الوطن
إذا لم نمت مثل كل الأحبة يا صاحبي
كيف يكبر هذا الوطن ؟ (١)

ويتخذ الشاعر عز الدين ميهوبي من "الأوراس" رمزا تاريخيا للجزائر المعاصرة ، ونقطة التحول والانتقال من تاريخ إلي تاريخ، فكان مزاره الذي يحن إليه علي الرغم من تبدل الظروف والأحوال بين يومه وأمسه ، إذ يقول :

أتيتك ملتحفا هامتى وممتشقا في المدى قامتي
أتيتك أوراس محترقا ودمع الأحبة في راحتي
تمر السنون ولما يزل صهيلك أوراس في راحتي(٢)

(١) اللغة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٥٧ .
(٢) نفسه صـ ١٠ .

الشاعر يشكو حاله إلي أوراس / الجبل ، ويدعو لعودته من جديد ليرفع عنه الظلم والأسى .

وعودة الشاعر إلي توظيف الرمز التاريخي الأوراس ، فيه دلالة علي التشبث بالأرض وبالجذور ، وإبراز للذات الجزائرية ، وشموخ مدتها التي ذهبت هيبتها ، ولم يبق منها إلي الصورة القديمة التي يسترجعها بقوله :

في بلادي
كل شيء شامخ حتى الأنوف
من "بني صاف" ل سوف"
هكذا أقرأ ما بين الحروف (١)

ويلتصق الشاعر بالمكان ويضيف رمز المدينة إليه ، فتصبح (مدينتي ومدينتنا) في شعره إذ يقول :

كانت مدينتنا مدينة
شعرها يمتد من حتى إلي
ترى عينيك شاطئها
ترى صحو المدينة
كانت ...
ولكن الرؤى كانت حزينة
الناس من صمت المدينة والمسافة قد أتوا
الناس من صمت والمدينة والمسافة (٢)

فهذه التراكيب التي تراوحت بين الإضافة والتكرار والحذف في السطر الأخير ، توحى بحالة الشاعر المضطربة في المكان ، والشعور بالضياع والوحدة.

وهكذا تعددت رؤى الشاعر للمكان ، وتنوعت مشاعره تجاهه ، وعبر بقوة عن مدي امتزاج التاريخ بالدين في المكان الجزائري .

---

(١) ديوان ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٥٧ .
(٢) عولمة الحب عولمة النار عز الدين ميهوبي صـ ١٠٧ .

المبحث الرابع

البناء الفني لشعر المكان عند ميهوبي

أولا : المكان والبناء اللغوي :

يسعى هذا البحث إلي رصد مختلف التحولات التي شاهدها البناء اللغوي في شعر المكان عند عز الدين ميهوبي ، باعتبار أن لمحة الشعر هي مكونات القصيدة الشعرية من خيال وصور موسيقية ، ومواقف إنسانية بشرية [١]، مما يدل علي أن لغة الشعر تتميز عن غيرها في البناء اللغوي ، وليس من قبل المبالغة القول بأن التحليل اللغوي هو العمود الفقري للبلاغة العربية ، والمسافة بين بلاغة تعتمد علي اللغة إلي هذا الحد ، وللتعامل مع النصوص الأدبية في العصر الحديث لا يمكن أن تكون بعيدة. [٢]

وهذا دون إهمال للعناصر الجمالية الأخرى المشكلة للنص وفق رؤية الشاعر الخاصة ، وخصائصه التعبيرية .

وفنية المكان لا تتأسس إلا لغة ، لأن اللغة هي التي تعطي المكان كينونته وتشكل نسقه العام في أسطره أو أبياته أو جملة الشعرية ، وهي التي يؤرخ الشاعر من خلالها لتاريخ المكان ، ويرسخه في الذاكرة .

فالمبني المكاني مع المبني اللغوي يشكلان معا جسد النص وأداءه الفني ، بل إن البنية اللغوية تمثل الأساس الأول للأداء الشعري، وتظل هذه البنية اللغوية -كذلك – لها تميزها الذي يمنح القصيدة وجودها الفني[٣]، وبهذه اللغة يواجه الشاعر العدم ، ويثبت وجوده ، ويحفظ المكان من الاندثار .

---

(١) لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية السعيد الورقي صـ ٥ ط دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٢م .

(٢) المرايا المقعرة "نحو نظرية عربية نقدية" عبد العزيز حمودة صـ ٤٩٠ ط المجلس الوطني للثقافة الكويت ط سنة ٢٠٠١م .

(٣) القول الشعري منظورات معاصرة رجاء عيد صـ ٣٤ منشأة المعارف ط مصر سنة ١٩٩٥ .

فاللغة هي الذاكرة، وعن طريقها تأخذ الأشياء شاعريتها،" فالأشياء ليست شاعرية إلا بالقوة ، وعلي اللغة أن تنقل هذه الشاعرية من القوة إلي الفعل ، وبدء من اللحظة التي تتحول فيها الحقيقة إلي شيء متكلم، فإنها تضع مصيرها الجمالي بين يدي اللغة، سوف تكون شعرية من خلال القصيدة ، ونثرية من خلال النثر" (١) .

وهذا واضح جلس في حديثة عن جبل الأوراس ، حيث أصبح عنده رمزا للأصالة والكبرياء إذ يقول :

تمر السنون ولما يزل صهيلك أوراس في واحتي

فأصالة الأوراس لها علاقة مباشرة بالجواد العربي الأصيل ، الذي هو عدة العربي ، وهذا تداخل مع قوله :

بلادي التي علمتني الشموخ سأغرز في صدرها رايتي

وأمشي علي جمرها حافيا وأمضي إليها إلي غايتي

أفتش في خدها كلمة من العنفوان أيا سادتي

أحب بلادي وإن أنكرتي فحب الجزائر من عادتي(٢)

فالشاعر يشير بلغته إلي معنى قوي الإشعاع إلي صمود الجزائر في كبرياء وشموخ ، رغم كل المواجع ، بكل ما تحمله الكلمة من معني شامخ ، فالشاعر عبر لغته يأخذ من الواقع ، ومن تاريخ الوطن الذي لم تكسره الأزمات .

وتتحول الجملة الشعرية بكلماتها إلي رمز إيحائي ودلالي علي يد الشاعر، بحيث يكسب المكان دلالات جديدة عبر النص تجعل الإنسان يندمج

(١) بناء لغة الشعر جون كوهين ترجمة وتعليق أحمد درويش صـ ٥١ دار المعارف مصر ط ٣ سنة ١٩٩٣م .

(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ١١ .

مع المكان ، مثلما فعل ميهوبي مع ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة ،إذ يقول :

رأسه في العراء
دمه شهوته في المسافات والأقحوان
يده في العراء
ظله في المكان
وزع الآثمون بقايا الذي لم يزل منه
في ساحة الشهداء (١)

فساحة الشهداء ترمز إلي الكبرياء ، والثورة علي الظلم والفساد ، وقد ترمز أيضا إلي الدماء المهدرة ، والأحداث الدامية التي حدثت في الجزائر في فترة التسعينات .

فالرمز وسيط بين الشاعر والقارئ قد يتجلى دون عناء ، وقد يتطلب مقدرة لغوية ومعرفية ، وهو وسيلة لإغناء النص الشعري ،لأن "الرمز في إيحائه عما يحتويه لايعتمد علي مبدأ التناظر، ولا يقف عند حدود المشابهة ، بل ينبثق من خلال أبنية العلاقات الباطنية ، وما تفرزه من أنماط تناسيه ، ونظام لغوي مكتنز بالمحتمل" (٢)، يوظفه الشاعر من أجل التأثير في المتلقي عبر معاني النص، وفي لغة شعرية متميزة جمعت بين البساطة والإيماء، يجعل الشاعر ما يحدث في الوطن رمزا للواقع المتجذر من خلال استثمار الثقافة المعرفية والدينية ، النابعة من خصائص الذات المبدعة التي تتمسك بالوطن، وترفض الرحيل عنه رغم الصعوبات والأحداث الدموية ، إذ يقول :

لن أحمل سفرا للمنفي
لن أكتب شعرا للمنفي
لن أعبد ربا آخر
غير الله

---

(١) كاليغولا يرسم غرنيكا الرايس عز الدين ميهوبي صـ ٦٧ .
(٢) لغة الشعر رجاء عيد صـ ١١٠ .

وأحلم بالعودة محمولا
في كفن
تخرج منه الكف المذبوحة
في لحظة غدر
يا الله
يا الله
يا الله (١)

فمن خلال ألفاظ ودوال "المنفي ، ربا آخر ، العودة ، كفن، كف مذبوحة ، غدر" رمز الشاعر إلي قصة وطنه ، ورؤيته للوضع السائد ، رافضا حياة المنفي ، ومنتظرا هناك لحظة موته كي يعود جثة تدفن في تراب الوطن ، وهو إدانة للواقع من جهة ، ومقاومة له من جهة أخرى، متكئا علي التركيز اللغوي ، والتكثيف الشعري .

وهو بذلك يبرز تأكيده علي عزة المكان ، وأهمية التضحية في الحفاظ علي وجود هذا المكان/الوطن ، الذي هو في عمقه وجود الذات ،جاعلا من كل لفظة في نصه رمزا للتضحية والفداء ، إذ يقول :

فإن لم تمت أنت
هو
هي
هم
هن
نحن جميعا
فيا صاحبي كيف يحيا الوطن
إذا لم تمت مثل كل الأحبة يا صاحبي
كيف يكبر هذا الوطن ؟ (٢)

(١) النخلة والمجداف عز الدين ميهوبي صـ ٢٣ .
(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٥٧ .

فالمكان لغة تتحول وتتجدد حسب السياق النصي ، ولكنه غالبا ما يأتي في صورة امرأة دون التصريح باسمها ، والاكتفاء بضمير المخاطب الذي يصبح معادلا موضوعيا ولغويا للمرأة التي يحبها التي يأوى إليها،فهي قصيدته ، وبحاره عندما تتوه به خطواته، إذ يقول :

كوني القصيدة إن أردت حصاري واستنفري في مقلتيك بحاري

وتوزعي بين الضلوع فإنها باتت بحرقتها تهيج نهاري

وتحسسي قلبي فإن دماءه تعبت وتاهت خطوتي وديارى

كوني القصيدة مرة وتمنعي إن شئت سيدتي فذاك شعاري (١)

فاستعمال الشاعر للضمائر التي تحيل مباشرة إلي المؤنث "كوني ، أردت ، توزعي ، تمنعي ، سيدتي" تحيل إلي الوطن الذي أصبح منبعا للحب ، والذي استغرق كيانه وذاته .

ولم يكن استخدام ميهوبي للرمز المكاني بدافع الزخم اللغوي ، بل استخدم إيحاءاته المختلفة للتعبير بطلاقة ، وحرية عما يجول بذاته من قمر ومعاناة ، واعتماده عليه لم يقتصر علي الألفاظ الواردة داخل القصائد ، بل راح أبعد من ذلك ، جاعلا من هذا الرمز عنوانا لقصائده ، مثل قصيدة "حجر لمجد الأمة" ،أما الرموز التي أدرجها في مضمون القصائد "كالشارع ، القبر ، الليل ، أوراس " وغير ذلك كثير.

وفي ذكره لفظ الشارع لم يشاء أن يعطي لنا تحديدا لمكان ما ، بل أكسبه مدلولا آخر كرمز ، ففي قصيدة "عولمة الحب عولمة النار" يشير إلي شارع فلسطين التي يشهد علي احتلالها ، وهو يستحي من جهاد الحجر، لأنه لا يربوا إلا أن يكون سهما لإغراق جسد الشارع بالدماء دون أن يحقق له الحرية ، إذ يقول :

(١) الرباعيات عز الدين ميهوبي صـ ١٧٥ .

وعن شارع من دم
يستحي من حجر [١]

ولكي يضخم الأمر أكثر اعتمد لفظ "القبر" كرمز للنهاية والفناء ، إشارة منه إلي كثرة المآسي والأموات ، ففي القبر تضييق ، وفناء للوجود :

عولمة النار
جدولة للعبور [٢]

ولكي يكشف عن سبب ذلك عمد إلي توظيف الليل ، وفيه استطاع أن يفرغ محتواه الذاتي ، ويكشف عن المعاناة والأسى من غطرسة الاحتلال ، فالليل يعني الظلمة والرعب، والاحتلال لا يختلف عن هذا في شيء ، إذ يقول :

فالليل أطول ما يكون
بلا انتهاء [٣]

ورغم كل هذا فروح العزيمة والصمود لدى الشاعر باقية متعددة ، وقد اختزل صوته في لفظ "الأوراس" رمز التشبث والأصالة قائلا :

أوراس يا عرسنا الموعود توهني
جرح المواسم آه إن هم احترقوا [٤]

فالشاعر يوضح العلاقة بين ما هو مادي يمتاز بالصلابة لا يمكن تحطيمه ، وبين ما هو معنوي متمثلا في عزيمته التي لا تقهر ، وتظل صامدة لآخر نفس.

ويحضر الرمز التاريخي لتعميق دلالة ضياع المكان وذلك باستحضار رمز أميمة التي ارتبط اسمها بالغزل في العصر الجاهلي ، ورمز المهلهل الذي ارتبط اسمه بالمجالس الأدبية في ذات العصر، والشاعر هنا يستحضر

---

(١) علمة الحب عولمة النار ميهوبي صـ ٦٥ .
(٢) نفسه صـ ٦٠
(٣) السابق صـ ٢١ .
(٤) نفسه صـ ٩١ .

هذين الرمزين من أجل تعرية الواقع الفجائعي الذي يرزح تحته الوطن العربي، إذ يقول :

رجعت أميمة والمهلهل والخنا فمجالس القدح العتيق منانا

أنا إن نظرت إلي الجزيرة أجهشت عيناي وانفجرت بيانا

فمتى أتيت علي الخريطة كلها يتمخض الورق الهزيل دخانا (١)

فاستحضار رمز أميمة والمهلهل تاريخيا ينتج عنه أن لا حضور للماضي إلا في ثياب الحاضر وهيئته ، ولعل في ذلك تجريدا للأقنعة التي يرتديها الشاعر من وظائفها ، وإدراجا للماضي في لحم الحاضر تأسيسا لمأساوية الوطن / المكان من خلال البؤر الدلالية "الخنا ، مجالس القدح ، أجهشت ، الورق الهزيل ، التي تندرج تحت حقل الهوان والضياع الذي أصبح علامة بارزة في المكان العربي . (٢)

ولذلك يرى أن هذا الواقع المتجذر لا يمكن تغييره إلا من خلال الفعل الجماعي ، فالذات وحدها لا يمكن أن تغير الواقع مبرزا دور الجماعة في تحقيق الانتصار من خلال البؤر الدلالية التي اتكأ فيها علي أفعال المضارع والأمر ، إذ يقول :

دعوا الشعب
يجدل من روحه القمة الناجمة
ويعيد لأمته نبضها العربي
المهرب في الأعين الفاضحة
دعوا الشعب
يصنع مستقبله
ويبعث ما بين مائين سمرته النازخة
دعوه فإن الذي يصنع المجد ليس الزعيم

(١) الغموض في الشعر الحديث إبراهيم الرماني صـ ١٨٥ .
(٢) نفسه صـ ١٨٥ ، ١٨٦ .

ولكنه الشعب والأمة الصالحة [١]

إن تكرار الجملة الدلالية "دعو الشعب" ناتج عن تفاؤل الشاعر برؤيته التي تؤمن بالتغيير علي المستوى الزمني المستقبلي، لأن علاقته بالعالم تتيح فتح منظورات العمل الشعري ، والتي تمثل نفسها استئنافا ضد الدافع المتكفئ الذي يجب مواجهته بوعي متجدد .

ولم يغب التراث الشعري عن مخيلة الشاعر ، فقد تم استدعاء بعض الأبيات الشعرية لبعض الشعراء يروم من خلالها إيصال رسالة معينة ، ومن قوله مستحضرا آبيات الشابي:

ما أكبر الشعراء
حين يرتلون
قصائد القسم الأخير

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر[٢]

إن استناد الشاعر بهذه الأبيات بهذه الطريقة الامتصاصية ،إنما مرده إلي رغبة في حياة شعبه ، وما الحياة إلا بالإرداة ، ويعني بها الإرادة الجماعية التي تنص علي التآخى والمودة والالتصاق بالمكان ، فاستدعى أبيات أبي الشابي بحرفيتها لتكون أكثر تأثيرا .

إضافة إلي ما سبق يأتي القناع " كوسيلة فنية درامية للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة ، وهو تقانة جديدة في الشعر الغنائي لخلق موقف درامي أو رمز، فيضفي علي صوت الشاعر نبرة موضوعية من خلال شخصية من الشخصيات، يستعيرها الشاعر من التراث أو من الواقع ، ليتحدث من خلالها عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم ، إلي درجة أن القارئ لا

(١) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٩٨ .
(٢) في البدء كان أوراس عز الدين ميهوبي صـ ١١٢ .

يستطيع أن يميز جيدا صوت الشاعر من صوت هذه الشخصية "[1] ، ومن ذلك شخصية الشهيد العربي بن مهيدي ، الذي يمثل رمز الفداء ، والثبات عند الموت معبرا علي لسان بن مهيدي وهو في الأسر ، ذلك الحيز المكاني الضيق ، بيدد أن روحه وأحلامه تحلق عاليا في الذرى، إذ يقول :

أول الثورة حلم للفرح
ورؤى تكبر في كل العيون
وعصافير وحبات بلح
وشموس تتنامى في سكون
أول الثورة حلم للفرح
آخر الثورة أقواس قزح [2]

فالشاعر يتقنع بشخصية بن مهيدي للتعبير عن واقع الجزائر مقدما من خلال هذه الشخصية ، ورؤيته للأحداث وتطلعاته المستقبلية.

وقد جاءت الألفاظ دالة علي هذا الحلم الذي الذي تعيشه هذه الروح الحالمة، التي تحلق في الفضاء الواسع كقوله : "حلم – فرح – تكبر – عصافير – حبات بلح – شموس – أقواس قزح" ، "فالتقنع يرمي إلي ثراء الدلالة بالدرجة الأولى [3]" وإبرار مدى سعة اطلاع الشاعر علي التراث الشعري الخاص بالأمة ، وكيفية تعامله مع كل هذا .

إلي جانب ذلك شارع التكرار اللغوي في النص الشعري عند عز الدين ميهوبي وصار مفتاحا لفهم النص ، والتكرار يغني المعني إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه، ويستخدمه في مكانه النصي .

---

(١) بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة مجلة الموقفة الأدبي خليل الموسى صـ ٥٦ عدد ٣٣٦ نيشان صـ ١٩٩٦ .

(٢) الشمس والجلاد غنائية الشهيد محمد العربي من مهيدي عز الدين ميهوبي صـ ٢٧ ط دار أصالة سطيف الجزائر سنة ١٩٨٨م .

(٣) المكان ظاهرة في ديوان أغنيات الوطن للشاعر قاسم أبو عين قراءة نقدية حسن الربابعة صـ ٥١ ط أولى المركز القومي للنشر الأرن سنة ١٩٩٩ .

وعز الدين ميهوبي من الشعراء الذين تواتر في دواوينهم ذكر المكان بشدة ، وبخاصة ديوانه (ملصقات) ، والتي من خلالها أبرز الوضع الاجتماعي القائم في الجزائر ، وسواد الرؤية عند معظم الشباب ، وما تكراركلمة (بلادى) ومشتقات الوطن إلا "لتوكيد فكرته ودلالتها المؤكدة"[١].

ومن ذلك قوله معبرا عن تزاحم الأحداث التي مر بها المكان/الوطن :

لأني رأيت البلاد بأوجاعها مرهفة
ورأيت الحقيقة رغم مرارتها مطلقة
ورأيت الشعارات في وطني زندقة
ورأيت القبور تداس وأعيننا مطبقة
ورأيت المواطن في زحمة الخوف
يبحث عن ملعقة
ورأيت الجزائر ما بين مئذنة ويد
تحمل المطرقة [٢]

فجاء بالفعل (رأيت) مكررا لأنه بتكراره أكثر قدرة علي التعبير عن الأحداث بأشكالها المختلفة ، وليعكس ما بداخل الشاعر من آلام تعبر عن حقيقة عاشها هذا الوطن وشعبه ، ومدى فساد الأحزاب ونضالها من أجل الموائد، لا من أجل الوطن / المكان .

ويبالغ الشاعر في تجذير هذا الوضع السيئ متخذا من شعره وسيلة في التعبير عنه ، مؤكدا سخريته ، وتحسره من واقع البلاد وما آلت إليه الأماكن، إذ يقول في ملصقه"السوداء" :

شكرا لكم
يا طالعين من الجماجم تعبثون
وتتاجرون بألف مقبرة

---

(١) المكان ظاهرة في ديوان أغنيات الوطن للشاعر قاسم أبو عين قراءة نقدية حسن الربابعة صـ ٥١ أولى المركز القومي للنشر الأردن صـ ١٩٩٩ .
(٢) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ١٤٧ .

شكرا لكم
عادوا
وألمح في المدى شهداءنا يتوضأون
بحزننا وبزيفكم
شكرا لكم
هم يقرؤون ملامح العار المودع في الشوارع
أرجلا سوداء
شكرا لكم
يا بائعين كرامة الوطن الشهيد
بلا ثمن
شكرا لكم
فقد احترقت كشمعة كانت تضيء
علي دروب الانعتاق
شكرا لكم (١)

قام الشاعر بتكرير السطر "شكرا لكم " متخذا منه نقطة مركزية يعود إليها ليبدأ موقفا جديدا يعكس ما بداخله من تحسر وسخرية ، تجاه المكان / الوطن ، وحزن علي أبناء شعبه .

ويأتي تكرار التقسيم كعلامة بارزة في شعر عز الدين ميهوبي ليؤدي إيحاءات دلالية علي نسق ثابت ومنتظم ، ليدل علي ثبات وطنه مهما تناوبت عليه المآسى ، إذ يقول :

وطني أكبر مني
وأنا أكبر من كل الجراح
وطن نغمة ناي
عزفتها يد أطفال ماي (٢)

(١) السابق صـ ٤٦ ، ٤٨ .
(٢) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٢٠ .

فوطن الشاعر لا تمحوه يد المآسى ، ولا تهدمه الهموم والفجائع ، وقد أحدث هذا التكرار تساوقا صوتيا يعانق آلام المكان .

ووظف الشاعر من التعابير ما ينساق وواقع الظروف ، فهو لا يصف ما يراه بطريقة إخبارية سطحية ، بل تجاوز المزج بين معاناة الواقع وروح الشخصية ، مشكلا رسالة فحواها النهوض والاستمرار وعدم الاستسلام للأمر الواقع :

وتصدقني حبا ليس إلا
وأنت القرية من شاعر
زاد الحب
ضمني بقايا تنهده
والمتاعب (١)

اعتمد ميهوبي هنا علي لغة هامسة للتعبير عن أحاسيسه الداخلية ، ومشاعره الوجدانية ، فلجأ إلي ألفاظ مفعمة بالجو النفسي ، ومشحونة بطاقات تشع منها المعاناة، تفاعلا مع معاناة المكان /القرية، مما يجعل القارئ يتفاعل معه في مشاعره وأحاسيسه.

ويمثل المعجم الشعري بنية أساسية في شعر عز الدين ميهوبي،لأن التجربة الشعرية لا يمكن لها أن توجد من غير اللغة ، ولذلك فدراسة المعجم الشعري وما يحتويه من دلالات ، تتيح للقارئ فرصة فهم مكونات النص الدلالية ، لأن اللغة الشعرية لغة المغايرة ، ولا يمكن أن تكون معاجمها عادية ومألوفة ، لوجود خاصية الانبثاق المخالفة فيها [٢] ولأن المعجم اللغوي يمثل لحمة النص الشعري ، ويمثل مكانا مركزيا فيه [٣] كان من الضروري أن نستند علي المعجم الشعري لدلالة المكان في شعر ميهوبي، ومدى توظيفة للمعجم الشعري الذي يعبر عن المكان بطرق مختلفة تبعا لرؤيته

(١) عولمة الحب عولمة النار صـ ١٢٤ .

(٢) تأملات نقدية في الحديقة الشعرية (قرءات ودراسات) محمد إبراهيم أبو سنه صـ ٥١ ط الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٩م .

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناقض) محمد مفتاح صـ ٦١ المركز الثقافي العربي – بيروت لبنان ط٣ سنة ١٩٩٣ م.

الخاصة، وفق وظيفة اللفظة الشعرية ،ها هو ذا يوظف الماء ودوره من حيث البناء والهدم في المكان قائلا :

وباب المدينة مقبرة في العراء
لطوفانها نكهة الموت
والبحر قبر وسيع
وتلك النعوش زبد(١)

فقد منح الشاعر للماء دلالات لفظية تشكلت من خلال (الطوفان والبحر والزبد)، وجميعها ارتبطت بمعاني الهدم والموت والتغييب في المكان ، مستندا علي فيضان باب الوادي بالعاصمة الجزائرية ، فالشاعر يبدي صدمته وهو يتأمل مخلفات الفيضان ،ويستحضر صورة واقعية واصفا إياها من خلال ألفاظ دالة عليها مرتبطة بالماء، جعلته يستفهم إن كان ضحايا الفيضان قرابين للمدينة أو للحياة العامة.

وعن الحديث عن أوضاع المكان اجتماعيا يستند الشاعر إلي الألفاظ الدالة علي علي ما هو مزر وقاهر ، فتنتشر في متنه الشعري ألفاظ الفقر ، والمسغبة ، والتعاسة ، واليتم ، والتسول، والذل، والحداد ، والغربة والطرد والنبذ، وغيره ، وهي ألفاظ تحيل إلي الواقع المعيش ، وإلي التقهقر النفسي في المكان ، إذ يقول :

قال لي : ما دمت بطالا
ولا أملك في الدنيا ... رغيف
مسكني اليومي .... أرجاء الرصيف
ما الذي يمنعني لو أنني شكلت حزبا (٢)

فلفظ "بطال" يحيل بشكل مباشر إلي الوضع الاجتماعي السائد، وإلي الوضعية المعيشية في المكان وأثرها علي حركة المجتمع، ومدى خطرها علي الفعل السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، ولا يجد مخرجا من هذا المأزق إلا بامتهان السياسة .

(١) عولمة الحب وعولمة النار صـ ٥٠ .
(٢) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٩٩ .

وتأتي لفظة "حفار" لتحيل إلي مهنة دفن الموتى ، والموت ، وافتقاد معنى الحياة مرتبطة بفترة تاريخية، خاصة فترة التسعينات ، إذ يقول :

يبكي الخفار
يسأل معولة المعقوف ويبكي :
من يحفر قبري
ويدفنني ؟
من يحمل لي كفني ؟
من يقرأ فاتحة القرآن عليّ ...
أيا وطني (١)

والحفار هنا لا يخرج في مدلوله عن الرجل الذي يمتهن حفر القبور ، إلا أن السياق يحوله إلي دلالة كثرة الموت بشكل أدى بالحفار إلي التساؤل عن مصيره ، وهي لوحة تراجيدية عمقها الشاعر بتحويلها دلاليا إلي الوضع المنهار في المكان .

ويحيل الشاعر إلي معان متعلقة بالواقع المتسم بالغموض، وعدم القدرة علي فهم خصائصه ، إذ يقول :

أين عراف المدينة
أتعبتني هذه الرؤيا
فألقيت عصاي (٢)

ويعبر الشاعر عن معاني الانتماء المكاني من خلال لفظة (الحضني) ووظيفتها الدلالية التي تعبر عن الإرث الشعبي المحفوظ علي الألسنة ، وإبراز الصفات النفسية والجسدية والاعتزاز بها ، إذ يقول :

وتقول لي أشياء تجرحني
أنا الحضني
تلك منازل الأجداد تحفظ سمرتي

---

(١) كاليغولا عز الدين ميهوبي صـ ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) اللعنة والغفران صـ ٣٢ .

وتنام في شفتي الخزامي [١]

ويستعين الشاعر بلفظ من اللغة العامية ، وقد ضمه داخل شعره بدلالته المباشرة التي تعني "رأي" لإقناع القارئ، وتقريبه من حوار بين أب وابنته ، وتشكيل مظهر واقعي مقنع ، إذ يقول :

جئت عراف المدينة
حاملا رؤيا ابنتي ، قالت "أبي شفتك بنومي"
قلت حقا ... ما الذي شفت أحك لي [٣]

قسما بأطفال الحجارة بالدما بالقبلتين بجنتي بجهنمي

قسما بزيتون يقاوم بالنوارس بالعتاب باللغى بالعلقم[٢]

ويعمد الشاعر إلي أسلوب المفاجأة في إحداث مقولة الأمل معتمدا علي رمزية الحدث ،الذي تجاوز به الشاعر العرف المألوف من خلال القسم في قوله :

فالقسم لا يكون إلا لشيء مقدس ، ولكنه ارتبط في هذه الأبيات بحقول دلالية أخرى هي : الانتماء إلي حقل الإنسان "الأطفال" ، والانتماء إلي حقل الجماد "الحجارة"، والانتماء إلي حقل النبات "الزيتون" .

إذ إن هذه المفردات لها أبعاد شعورية واجتماعية ومكانية في الوقت نفسه .

إلي جانب ذلك اكتسبت لغة ميهوبي المعجمية طابع انزياحي خرج فنيا من الظاهر المألوف إلي الباطن الذي يستدعي غوصا ، وعمق تفكير ، وهو ما أكسبها بعدا جماليا ، أو جدة الشاعر من خلال التوتر بين الدال ومدلوله ،إذ يقول :

اشتهى أن أعيد صياغة عمري

---

(١) عولمة الحب عولمة النار صـ ٣٨ .
(٢) عولمة الحب عولمة النار عز الدين ميهوبي صـ ٨٥ .
(٣) اللعنة والغفران صـ ٢٩ .

وأتلف تابوت إثمى
وأطلب غفران هذا البلد (١)

ففي الشريعة لا يطلب الغفران إلا من الله عز وجل – فهو الوحيد الذي يغفر الذنوب ، لكن الشاعر يرى أن الآثام ترتكب في حق المكان أيضا ، فمن لا يضحي من أجله ويتهاون في الدفاع عنه ،عليه أن يطلب العفو والمغفرة (وأطلب غفران هذا البلد)، فإذا لم يلتزم بخدمة الوطن /المكان بنفسه، يكون قد تطاول علي القيم الوطنية، وجزاؤه إثم عظيم ، "وأتلف تابوت إثمي" وهنا أراد الشاعر التأكيد علي ضرورة خدمة الوطن وشعبه ، ونشر العدالة مع الالتزام بالحق والواجب .

وهناك من الألفاظ المعجمية لها من القدرة الإيحائية ما يستجمع عولمة المأساة الذاتية والمكانية ، إذ يقول :

وكنت بعيدا
إلي القلب بعض الحنين
ودمع الأحبة (٢)
ويقول أيضا :
وعن وطن يتساوي علي أرضه
الآثمون مع الشهداء (٣)

فالشاعر يعتمد علي ألفاظ "بعيد ، الحنين ، دمع ،الآثمون ، رحلت" ويدعمها بألفاظ "الوطن ، الأرض " إشارة إلي الواقع المرير الذي يعيشه ،والذي تلون فيه المكان بصور الظلم والغربة ، والتوتر .

وفي ذات الوقت يعبر الشاعر عن ذاته التواقة إلي الفرح، والمتعطشة للحظة ينبت فيها النماء والسلام ، فينشرح فؤاده، وينبسط وجدان جناحية ليعتنق حب الحياة والاستمرارمن خلال الانتماء للمكان، إذ يقول :

---

(١)عولمة الحب عولمة النار صـ ٥٤ .
(٢) نفسه صـ ٤٩ .
(٣) السابق صـ ٥٣ .

جزائر الحب لي والناس هاجنحوا
للعشق يسكبني من فيضه القدح
قرأت في أعين السماء قافيتي
ومن منابت قلبي يطلع الفرح
أبوح بالسر للأقدار لي ولكم
-ولا حين – فؤاد المرء ينفتح (١)

فجاءت ألفاظ "الحب ، العشق ، الفؤاد ، ينفتح" للإفراج عن مكبوتات الشاعر ، وتوفير الجو المناسب له، ليشحن هذه الألفاظ بدلالات إيحائية نفسية تمنح له الهدوء والأمن، والأمل في غد مشرق ، والارتباط بالمكان عمقا وانتماء ، والبوح عن مشاعره تجاه مكان يمثل له جزءا من أحلامه وطفولته وشبابه .

ثانيا : المكان والبناء التصويري :

تعد الصورة الشعرية من العناصر الأساسية التي يرتكز عليها تقييم الأعمال وقياس جودتها ، وتكشف عادة عن مواطن الإبداع عند الشاعر ، وزوايا عبقريته .

"وهي لا توجد في العمل الشعري وحدة قائمة بذاتها، لها أبعادها الجمالية الذاتية"(٢) وإنما تتدخل في تشكيل المكان الجغرافي ، وإعطائه صورة شعرية ، بل إنها تتدخل في تشكيل النص ككل ، لتساهم مع مجموعة من العناصر الجمالية الأخرى في بلورة النص الشعري، وتميزه عن غيره .

وتكمن أهمية الصورة في شحن همة القارئ للوصول إلي المعنى ، فيعلق في ذهنه بعد كد وتعب مراد الشاعر ،"وفي الطريقة التي تفرض لها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه ، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به ، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها ، إلا لأنها

(١) عولمة الحب عولمة النار صـ ١٣١ .
(٢) جدلية الخفاء التجلي "دراسات بنيوية في الشعر" كمال أديب صـ ٢٤ ط دار العلم للملايين ط ٤ سنة ١٩٩٥م .

تريد أن تلفت انتباهنا إلي المعنى الذي تعرضه، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه" . [١]

فالقدرة لجمالية المكان في القصيدة الحديثة،" هي تقديم الصورة بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تقدمها أية جمالية أخرى ، فالعلاقة التي تحيلنا القصيدة إليها هي المركب بين العاطفة والعقل ، بين اللغة الإشارة واللغة المعيارية ، لذلك لايولد المجال الشكلي للقصيدة إلا من خلال جمالية الواقع".[٢]

فوظيفة الشاعر المبدع تكمن في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الإمساك به، من خلال التحليل العلمي الدقيق لأنماط المكان في الصورة الشعرية .

"وليست الصورة الشعرية حلي زائفة ، بل إنها جوهر فن الشعر، فهي التي تحرز الطاقة الشعرية الكامنة في العالم" [٣]

وهي التي يتأسس بناء النص عليها، مهما كان العنصر المكاني الذي ترتكز عليه، أو تستند إليه في بنائها .

وبالنظر في شعر ميهوبي نجد أنه بني صوره علي العناصر المكانية ،يربطها شريان واحد، وتسير في نفسيته ، ومن ذلك قوله من قصيدة الملاك الغائب:

أختاه يا نبت التراب
ويا قصيدتنا البهية
حين احترقت توهمت ملئ المكان
حدائق الوطن الندية
وتلألأت في قمة الأوراس [٤]

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي د. جابر عصفور صـ ٢٦٣ .
(٢) نفسه صـ ٢٦٥ .
(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي صلاح فضل صـ ٢٣٠ ط دار الشروق مصر صـ ١٩٩٨ .
(٤) نظرية البنائية في النقد الأدبي صلاح فضل صـ ٢٣٠ ط دار الشروق مصر صـ ١٨٩٨ ط ٢ .

فهو يشير إلي انتماء الشاعرة والأديبة الجزائرية(زليخة السعودي) إلي الوطن الأم من خلال أفكارها الناضحة ،وكتاباتها التي تمس صميم الواقع المكاني ، حيث غدت حدائق تبهج أرض الوطن ، ونجمة تضئ قمم الجبال الشامخة ، وربط هذه الصورة بالواقع المكاني متكئا علي ألفاظ "التراب – المكان – حدائق الوطن، الأوراس" وكلها أماكن تأتلف ولا تختلف ، يبرز مدى تفاعل هذه الشاعرة مع قضايا الوطن / المكان حتى اندلاع ثورة الأوراس.

ويواصل الحديث عن هذه الشاعرة وارتباطها بالمكان الوطن، ويعتمد علي مجموعة من الصور الاستعارية محاولا جمع جزئياتها وتكوين صورة عامة عن تعميق الإحساس بالمكان / الوطن ،إذ يقول :

لا تفتحي جرح الأحبة إذ نسوك
فإن جرحك من جراحات الوطن
دمنَا ينزَ ....
أما سمعت أنين أم
ضيعت – غدرا – ولد ؟ (١)

وذلك ليشكل صورة كلية مفادها أن علاقة أبناء الوطن بالمكان، كعلاقة الأم بأولادها مما يرسم صورة الصمود والتحجر في وجه الظلم والقهر .

ومن خلال ذلك الحب الوطني والارتباط بالمكان، يلجأ الشاعر إلي التشبيه حيث يشبه الوطن بقطعة السكر ونغمة الناي ، إذ يقول :

وطني نغمة ناي
عزفتها يد أطفال ب "ماي"
وطني قطعة سكر
بقايا حلم طفل في "نوفمبر" (٢)

(١) عولمة الحب عولمة النار ميهوبي صـ ٢٩ .
(٢) اللعنة والغفران ميهوبي صـ ٢٠ .

وعبر التشبيه البليغ المتعدد يعبر الشاعر عن معاني الانتماء جامعا بين العديد من الصفات التي تمكن اجتذاب القارئ عبر التباعد بين هذه التشبيهات واجتماعها في شئ واحد هو الوطن، مما جعلها أوقع في النفس ، إذ يقول :

فأنت التراب
وأنت الشموخ
وأنت العذاب
وأنت الجزاء
وأنت العقاب
وأنت الحضور
وأنت الغياب
وأنت انتصار الحقيقة في زمن الاغتراب
وأنت الوطن فلا تيأسى(١)

هذه التشبيهات التي صيغت علي الضدية تكون أوقع في النفس ، يقول الإمام عبد القاهر " إذا استقريت التشبيهات ووجدت التباعد بين الشيئين، كلما كان أشد كان للنفوس أعجب ، وكان للنفوس أطرب".(٢)

ويواصل الشاعر صوره بالاعتماد علي العنصر المكاني الكلي خاصة في ملصقاته، حيث تشكل الجزائر العنصر الأساسي في الصورة الشعرية ، عندما يشعر بحجم المأساة التي حلت بالمكان، حيث البيع بلا ثمن ، واجتياح الأقدام السوداء له، إذ يقول :

يا بائعين كرامة الوطن الشهيد
بلا ثمن
ضاع الوطن
ما بين ساقية وساق
ورأوك يا وطني بألف يد تساق

---

(١) نفسه صـ ٧٤ .
(٢) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني صـ ٩٨ .

أقدامهم سوداء
تعبرها متى
وأنا الحزين دمي توزعه الذين رأوك
تكبر نخلة ويدا تلوح للعناق
شكرا لكم
يا من فتحتم بابي الموصود بالشهداء (١)

علي الرغم من حزنه بسبب دمه الذي توزعه هؤلاء أصحاب الاقدام السوداء، إلا أنه يحدوه الأمل في مستقبل مشرق يكبر فيه الوطن، ويصبح كالنخلة رمز الأصالة والتجذر في أعماق الأمة ، والصورة هنا توحى بالطول والتعمير والشموخ، وتتحول مع تقدم الزمن إلي مصدر إلهام لكل من يريد تحرير شعبه من ربقة الاستعمار .

ونظرا للارتباط الشديد بالمكان نجد أن الشاعر تأثر به في تشكيل صوره ، ها هو ذا يربط بين مدينتين جزائريتين ليبرز حقيقة الفرد الجزائري المتمثلة في أنفة وشموخه وكبريائه ، إذ يقول :

في بلادي
كل شيء شامخ حتى
الأنوف
من بني صاف ل "سوف"
هكذا اقرأ ما بين الحروف (٢)

والمكان جوهر النص، وهو الصورة قبل أن يكون نصا ، وقد يتحول إلي صورة رمزية، وهي ليست إلا "وجها مقنعا من وجوه التعبير بالصورة" (٣)، يلجأ إليها المبدع بتوجيه من تجربته الشعورية التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالصورة الرمزية دون غيرها(٤).

(١) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٤٧ .
(٢) ملصقات عز الدين ميهوبي صـ ٧٥ .
(٣) الشعر العربي المعاصر د.عز الدين إسماعيل صـ ١٩٧٨ .
(٤) الرمز والقناع في الشعر العربي محمد علي كندي صـ ٣١ .

فالصورة الرمزية لا قيمة لها إلا إذا ارتبطت بالحالة الشعورية للشاعر ، وبتجربته الذاتية التي تكشف المستور والمكنون شعريا، وعز الدين ميهوبي واحد من الشعراء الذين تميزت كتاباتهم بالبعد الرمزي ، ها هو ذا يشارك المكان حزنه وألمه وتعازيه ، إذ يقول :

صباح الأحد
رأيت المدينة أكثر حزنا
وفي كل عين تنام عصافير هذا البلد
رأيت دمي مطفأ كالسجائر في كف أم
ومحترقا في شفاه ولد
رأيت الجزائر متعبة بالتعازي
بكيت البلد(١)

هذا المقطع قد يكون امتدادا إلي ما قبله يدل علي ذلك ارتباط الوعاء الزماني "صباح الأحد" بمقطع سابق، هو "لم يك سبت المدنية أجمل من أمسه"، ولكنه يحمل فكرة مستقلة ، مما يدل علي أن الحالة النفسية للشاعر واحدة ، وتتوزع علي مشاهد عدة ، تزداد تأثرا علي حسب المشهد ، وذلك من خلال النتيجة : (بكيت البلد) ، (لك الروح إن لم يسعك الجسد) .

فالروح والجسد هما أغلى ما يمكن التضحية بهما ، وهو ما شكل مؤشرا نفسيا من حيث التفاعل، وأسلوبيا من حيث الرموز المستخدمة، والمرتبط بعضها ببعض :

"لصباح : بداية اليوم ، الأحد : بداية الأسبوع ، العصافير (الأطفال) : بداية العمر".

إن هذه البدايات كلها مطلقة ، فالمدينة ولدت ميتة لأن يفترض في البدايات الانبعاث والانطلاق ، لكن الحاصل هو العكس ليس فقط علي مستوى الزمان بل يمتد إلي المكان من المدينة باعتبار الجزء ،إلي البلد (الوطن) باعتبار لكل .

(١)عولمة الحب عولمة النار صـ ٥٠ .

وفي قوله : "رأيت دمي مطفأ كالسجائر" يشي بدرجة الانحطاط وفقدان قدسية الدم وحرمته ، وما وصل إليه من تفاهة تساوي السجائر ، حتى الجرائد التي تنقل الخبر أصبحت مثقلة بالتعازي .

فالصورة تحولت إلي رمز إيحائي محملة بتجربة الشاعر التي يريد توصيلها للمتلقي .

ويجدها مدينة صامدة ، وأمنية قائمة ، وحلما يتحقق، فهي مدينة صمدت لسنوات مضت دامية ، فيزداد تعلقه بها ، إذ يقول :

رأيت المدينة دوحا تعري ووجها يسافر في كل واحه

عيونا معفرة بالأماني وقلبا يقلب سرا جراحه

مواسمها للشوارع تهفو وترسم في كل باب صباحه(١)

هكذا يتوحد عالم الحب والوطن في ذات الشاعر بعد تضاؤل المسافة الفاصلة بين العالمين، بواسطة تجاوز المعنى إلي امتزاج لون المرأة بلون المكان الوطني ، وإلي الإصرار علي الحب والوفاء للمكان فيقول :

وأرحل فيك بكل احتراقي وفي راحتيك أذيب الفما

لعينيك أشدو فيحلو غنائي فقلبي يحبك قد أقسما(٢)

وهكذا يفرغ ميهوبي رمز المرأة من دلالته المتوارثة ليشحنه بدلالات جديدة (فالمرأة =الوطن) ، وهذا له مبرره النفسي ، فالشاعر عندما يفتقد الأنيس الأنثوى / المرأة يبحث عن شبيهاتها فلا يجد إلي الأمكنة .

ويتحول المكان علي يد الشاعر إلي رمز ديني أو تاريخي ليغوص الشاعر من خلاله في الذاكرة الجماعية ، ويبرز عبرة هدفه وخصوصيته ، وليؤكد مدى تواصله مع المكان عبر الرمز الديني إذ يقول :

---

(١) الرباعيات ميهوبي صـ ٣٩ .

(٢) نفسه صـ ٣٨ .

دار الفلك
كنا صغارا
لا تراب ولا دوالي
فلهو كيوسف بين إخوته
تدغدغنا الليالي
كنا صغارا
دار دورته الفلك
وطني أموت بحسرتي
وحدي معك (١)

إنه بذلك يوحد بين قصة (الوطن) وقصة (يوسف) عليه السلام ، فلقد انتزع ما حدث ل(يوسف) عليه السلام ، ليعبر به عن الوطن وما يحدث معه، فيوسف – عليه السلام – كان ضحية الغيرة ، وكذلك الوطن ،فلقد ظهرت سُنتان (يوسف وإخوته) و(وطني أموت بحسرتي معك) اللتان تحيلان إلي حدث تاريخي مهم في حياة المسلمين، يتمثيل في قصة سيدنا يوسف -عليه السلام- لما تشير إليه من فترة حرجه صعبة مر بها كل من يوسف- عليه السلام - وكذا الوطن. فهناك صورتان، صورة يوسف الذي يلهو مع إخوته وصورة الوطن والحسرة،وقد تعرض كل منهما كالغدر والخيانة .

ويستحضر الشاعر رمز صلاح الدين والقدس والأمجاد الماضية، يناديه مستصرخا وراجيا عودته بعد الذي حل بفلسطين:

أين الشموخ العنتري وهل كل الذي كنا رؤي وكري
ذقنا الهوان..الذل في بذخ ياويلتاه ! العار فينا سري
عد يا صلاح الدين فالبلاء أتي والقدس ليل ظل معتكرا(٢)

(١) اللعنة والغفران عز الدين ميهوبي صـ ٨٣ .
(٢) في البدء كان أوراس ص ١٩٥،١٩٦ .

فالشاعر هنا يستجدي روح صلاح الدين العائدة، بل ما يمثله صلاح الدين الرمز من مبادئ ومواقف وأعمال.

وقد اتجه الشاعر إلي" إلغاء الطابع الاحتجاجي، ومحاولة تشكيل النص وفق مايتطلبه البناء الدرامي من عناصر لم يعرفها الشعر العربي حتي تمكن من استيعاب الواقع ، ويصوغ تراجيديا العصر مسيرة فلسطين "[1]. فتعبير الشاعر عن فلسطين هو تعبير عن المكان الجزائري .

وعبر هذه النماذج استطاع الشاعر أن يضع الآصرة والرابطة بينه وبين تاريخه، وأن يستنطق الأماكن .

فالشاعر المعاصر "مهما يكن استخدامه للرموز الضاربة بجذورها في التاريخ.. فإنه حين يستخدمها لا بد أن تكون مرتبطة بالحاضر، وبالتجربة الحالية ،وأن تكون قوتها التعبيرية نابعة منها، فالقيمة كانت في لحظة التجربة ذاتها"[2].

وبهذا فصورة المكان في شعر ميهوبي كشفت عن محبة عميقة وغائرة، تدل علي مدي الارتباط الوثيق بين الشاعر والمكان، والربط بين هذا المكان والأماكن العربية الأخرى ببراعة فائقة، صبها في نسيج صوري متكامل انصهرت خيوطه في بوتقة التشكيل الجمالي ، فامتازت بجودة الأداء ودقة التصوير .

(١) في بنية الشعر العربي المعاصر محمد لطفي اليوسفى صـ٦٧ .
(٢) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية صـ٢١٣ .

الخاتمة

نحمد الله علي جزيل إحسانه ، ونستمد منه التوفيق والتأييد، ونصلي ونسلم علي خاتم أنبيائه، وعلي من اقتدي بسنته ، واهتدي بهداه.

وبعد:..

فمن خلال مصاحبتنا في هذه السياحة المشوقة لشاعر الأوراس عز الدين ميهوبي في شعره المكاني، وما يحمله من دلالات نفسية ووجدانية عميقة ، وقيمة وطنية غالية ، وبراعة فنية ممتعة ، وعواطف شجية متألمة ، يحسن بي أن أشير إلي

أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث ، وتتمثل في الآتي:

- أن المكان يسكن في أعماقنا مما جعل الشعراء يخلعون عليه مشاعرهم وأحاسيسهم الإنسانية ،لأنه يثير في النفس ذكريات الأهل والأحبة ، ويبعث الأمل في الذات بعدما غمرها اليأس والحرمان.

- إن الحديث عن المكان موجود في الشعر العربي منذ القدم ، وليس مصطلحًا عامًا حداثيًا ، كما يزعم البعض ، فما من عصر من العصور إلا وكان المكان من أهم المكونات الأساسية في شعر شعرائه ، مما يعكس مدي العلاقة القوية بين الإنسان والمكان كوسيلة من وسائل التذكر والتخيل .

- يعد الشاعر عز الدين ميهوبي امتدادا للشعراء الذين جعلوا من حب المكان نمطًا فريدًا تعشقه النفس ، بوصفه جملة من القيم قبل أن يكون مكاناً جغرافيًا ، جاعلاً من الجزائر حلمه المنشود.

- شكل المكان في شعر عز الدين ميهوبي مرجعية يستدعيها وفق خبراته بتاريخ الجزائر، وتجاربه الواسعة علي أرضها إلي الحد الذي جعله يطلق علي أسم أحد دواوينه " في البدء كان أوراس " ، المعادل الموضوعي للجزائر.

- انفتح الشاعر علي دلالات متعددة توحي بعمق الارتباط بالمكان جاعلاً من المرأة والوردة ، والزنبقة ،والخيمة، معادلاً للمكان/ الوطن .

- اتخذ الشاعر من الشخصيات التاريخية ذات المرجعية البطولية ،تعبيرًا عن الحيز المكاني، والحلم والانطلاق منه إلي الفضاء الواسع ،رمزًا للحرية والتغيير.

- تنوعت الأماكن العربية في شعره ليعانق الوطن العقائدي الواسع ، الذي يشهد جوهر وجوده من الإسلام إيمانًا منه بأن الأماكن العربية امتداد للأماكن الجزائرية ، فكان شعره الجامع لها في خريطته وطنًا واحدًا ، وهدفًا موحدًا تجسيدأ لحلم كل عربي.

- ارتقي الشاعر بالمكان نفسيًا واجتماعيًا ، ونقله من مجرد مكان أو حيز مادي إلي فضاء واسع ينبض بالمشاعر الإنسانية، والحرية والحيوية.

- شغلت مقولة الوطن فضاء واسعا بالغ الأهمية في تجربة عز الدين ميهوبي ،رسم تضاريسه بلغته الشفافة، متجاوزا الحدود التاريخية والجغرافية، إلي آفاق رحبة في علاقة حب متناهية ، والأمل في غد مشرق يحوّل السقوط إلى نهوض.

- شكل البعد الديني والتاريخي في شعره المكاني ،ارتباطا بالجذور والارتكاز علي الماضي والحاضر، محاولا أن يتمثل تاريخ الأمة، فتاريخ الشعر هو تاريخ المكان.

- جاءت لغته مرتبطة ارتباطا وثيقا بشخصيتة ،وحالته النفسية التي ارتبطت بالمكان الذي لا يتأسس إلا لغة، فهي التي تعطي المكان كينونته، وتشكل نسقه العام ،وهي التي يؤرخ الشاعر من خلالها تاريخ المكان، ويرسخه في الذاكرة .

- تحولت الجملة الشعرية في شعره المكاني الي رمز إيحائي ودلالي، مما أكسب المكان دلالات جديدة عبر النص ، تجعل الإنسان يندمج مع المكان.

- جاء الرمز وسيطا بينه وبين القارئ ليبرز تأكيده علي عزة والمكان، وأهمية التضحية في الحفاظ علي وجوده، الذي هو في عمقه وجود الذات .

- كثرت ظاهرة التكرار في شعره مما أشبع دوائر الخطاب الشعري بظاهرة الترديد اللفظي، التي أثرت دلالات النص، وعمقت معانيه، وإيحاءاته الدلالية علي نسق ثابت ومنتظم، ليدل علي ثبات وطنه مهما تناوبت عليه المآسي.

- اكتسبت لغته المعجمية طابع انزياحي خرج فنيا من الظاهر المألوف إلي الباطن الذي يستدعي غوصا وعمق تفكير، وهو ما أكسبها بعد جماليا احتوي العمق النفسي لتجربته الشعرية المكانية .

- جاءت الصورة أداة فاعلة في شعره المكاني في نسيج صوري متكامل من صور تشبيهية، واستعارية ،وكنائية ،ورمزية ،انصهرت خيوطه في بوتقة البناء التصويرى.

- وظف الشاعر القناع كوسيلة فنية درامية، للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة لخلق موقف درامي إثراء لدلالة المكان، ولإبراز مدي اطلاع الشاعر علي تراث الأمة

وفي النهاية ،، أهيب بالباحثين بالتوجه إلي الأدب الجزائرى وبخاصة الشعر منه قراءة ودرسا عبر مصاحبة إبداعية ، فهناك الكثير من الشعراء والمبدعين الجزائريين في حاجة ماسة لمن ينفض الغبار عن هذا الإبداع الثر ، والخروج به إلي جموع الباحثين لما فيه من الشاعرية المتدفقة ،التى تغري بالبحث والدراسة ،لتعم الفائدة .

وأخيرا لا أزعم أن هذا البحث برئ من العيوب والمآخذ، لكن حسبي أنني أخلصت النية، وأضفت لبنة جديدة في صرح مكتبة الدراسات الجزائرية، فإن فاتتني الغاية فلم يفتني شرف السعي إليها ،والله ولي التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع *

أولا: (المصادر)

القرآن الكريم.

- أخبار مكة -الأرزقي– تحقيق رشدي صالح ملحس ط. دار الثقافة ، مكة ،ط. ثانية.
- الأعلام خير الدين الزركلي ، ط. بيروت –ط - ثانية.
- الأعمال الشعرية ، فاروق جويدة ، الجزء الأول ، ط. دار الشروق ، سنة ٢٠٠٩م.
- الأغاني-أبي الفرج الأصفهاني - ط. دار الشعب - وتحقيق لجنة من الأدباء –ط- دار الثقافة –لبنان- سنة ١٩٨٣م.
- جواهر البخاري - شرح ابن حجر العسقلاني - مصطفي عمارة - طبعة دار الفكر – بيروت- سنة ١٩٨٣م.
- الحلة السيراء- ابن الآبار - الجزء الثاني - تحقيق د. حسين مؤنس - ط دار المعارف - القاهرة - ط. ثانية- سنة ١٩٨٥م.
- خزانة الأدب- البغدادي- ت- د.عبدالسلام هارون – ط دار الكتاب العربي-سنة ١٩٧٩م.
- دواوين عز الدين ميهوبي:

- الرباعيات- دار أصالة للإنتاج الإعلامي والفني - سطيف– الجزائر - ط أولي-سنة ١٩٩٨م.
- عولمة الحب عولمة النار - منشورات أصالة – الجزائر– ط أولي سنة ٢٠٠٢ م.
- في البدء كان أوراس - دار الشهاب - باتنة – ط- أولي سنة ١٩٨٥م.
- قرابين لميلاد الفجر- منشورات أصالة – الجزائر – ط. أولي ، سنة ٢٠٠٣م
- كاليغولا يرسم غرنيكا الرايس-مؤسسة أصالة للإنتاج – سطيف– الجزائر– ط أولي - سنة ٢٠٠٠م.
- اللعنة والغفران -مطبعة هومة – الجزائر – سنة ١٩٩٧م

(*) روعى فى هذا الترتيب عدم الاعتداد بأل التعريف المبدوء بها اسم المصدر.

- النخلة والمجداف - دار أصالة - الجزائر– ط. أولي ، سنة ١٩٩٧م.
- ملصقات- منشورات أصالة للإنتاج – سطيف– الجزائر– ط أولي- سنة ١٩٩٧م

- ديوان ابن زيدون- تحقيق د. علي عبد العظيم - ط دار نهضة مصر للطبع والنشر– القاهرة -سنة ١٩٩٧م.
- ديوان ابن الرومي- شرح أحمد حسين بسبح - دار الكتب العلمية - بيروت – ط أولي- سنة ١٩٩٤ م.
- ديوان أبي تمام –شرح الخطيب القزويني – ج٢ –تقديم راجي الأسمر-دار الكتاب العربي-بيروت –ط ثانية –سنة ١٩٩٤ م.
- ديوان أبي فراس الحمداني- رواية ابن خالويه- دار بيروت للطباعة والنشر – سنة ١٩٧٩م .
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - تحقيق د.محمد يوسف نجم- ط. دار صادر للطباعة والنشر- سنة ١٩٨٨م.
- ديوان المتنبي -المكتبة الثقافية - بيروت – لبنان.
- ديوان محمود درويش ، ط. دار العودة لبنان ، ط. ثانية سنة ١٩٧٨م.
- ديوان اللهب المقدس ، مفدي زكريا ، الجزائر ١٩٨٣م.
- ديوان المعتمد بن عباد ، جمع وتحقيق د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، ط. دار الكتب المصرية ، بالقاهرة سنة ١٩٩٧م.
- ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، د. شكري فيصل ، ط. دار الهاشم بيروت سنة ١٩٦٨م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ابن بسام الشنتريني – القسم الثاني المجلد الأول – تحقيق د. إحسان عباس – ط دار الثقافة – بيروت – سنة ١٩٧٨ م.
- شرح ديوان أبي تمام –الخطيب القزوينى – دار الكتاب العربي – بيروت-ط ثالثة سنة١٩٩٤م .
- شرح ديوان حسان بن ثابت – عبد الرحمن البرقوقي -دار الأندلس- بيروت لبنان –ط ثالثة –سنة ١٩٨٣م .

- الشمس والجلاد غنائية الشهيد بن مهيدى -(أوبريت) - ط دار الأصالة –سطيف – الجزائر- سنة ١٩٨٨م.
- الشوقيات ج٢- أحمد شوقى – ط دار العودة بيروت – سنة ١٩٨٨م.

ثانيا : (المراجع)

-[أ]-

- - إضاءة علي النص - اعتدال حسن - ط دار الحداثة –لبنان- ط أولي سنة ١٩٨٨م.
- آنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف- أحمد مرشد- ط دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية - بدون.
- أوراق الورد في النقد الأدبي ، إبراهيم رماني – باتنة – الجزائر ، ط. أولي سنة ١٩٨٥م.

- [ب] -

- بناء لغة الشعر- جون كوهين - ترجمة وتعليق د.أحمد درويش -دار المعارف -مصر- ط ثالثة- سنة ١٩٩٣م.
- تأملات نقدية في الحديقة الشعرية -قراءات ودراسات - محمد إبراهيم أبوسنة - ط الهيئة المصرية للكتاب- سنة ١٩٨٩م.

- [ت] -

- تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص - د. محمد مفتاح-المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء – المغرب – بيروت- ط ثالثة -سنة ١٩٩٣م

- [ج] -

- جدلية الخفاء والتجلي-دراسات بنيوية في الشعر- كمال أديب - دار العلم للملايين- طبعة رابعة - سنة ١٩٩٥م.
- جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت .
- جرير مدينة الشعر- حسين الشيخ الفاتح - دار الخيل -بيروت– لبنان .

- [ح] -

- حوارية الحزن الواحد – عبد اللطيف عقل - منشورات العودة- القدس- سنة ١٩٨٥م.

- [خ] -

- خصوصية التشكيل الجمالي في أدب طه حسين - د. نبيلة إبراهيم – ط الهيئة المصريةالعامة للكتاب – القاهرة .
- الخيال الشعري عند العرب- أبو القاسم الشابي- الدار التونسية للنشر- سنة ١٩٨٣م.

- [د] -

- دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث -عبد الله البردوني نموذجاً - ملامس مختار - الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها –الجزائر- سنة٢٠٠٢م.

- [ر] -

- الرمز الشعري عند الصوفية- عاطف جودة نصر - دار الأندلس بيروت -ط. ثالثة- سنة ١٩٨٣م.
- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث-السياب ونازك والبياني- محمد علي كندي - دار الكتاب الجديد المتحدة- ط أولي - سنة ٢٠٠٣م.

- [ز] -

- الزمن والمكان دراسة سيميائية- باسم الشريف –ط دار المعارف – القاهرة.

- [ش] -

- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية- عز الدين إسماعيل - دار الفكر العربي -ط ثالثة .
- الشعر والبيئة في الأندلس- ميشال عاصي- المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان- ط. أولي- سنة ١٩٩٧م.
- شعر المكان في الرواية الجديدة ، الخطاب الروائي لإدوارد الخراط نموذجًا-مؤسسة اليمامة الصحفية - الرياض -سنة ٢٠٠٠م

- [ص] -

- الصورة الشعرية عند الأعمي التُطيلي -علي الغريب محمد- مكتبة الآداب بالقاهرة- سنة ٢٠٠٣م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي -د. جابر المنصور- دار المعارف-القاهرة .

- [ع] -

- علامات في الإبداع الجزائري دراسات نقدية- عبد الحميد هيمة - رابطة أهل القلم.

- [ف] -

- فلسفة المكان في الشعر العربي - حبيب مؤنس - منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سنة ٢٠١م.
- في بنية الشعر العربي المعاصر- محمد لطفي اليوسفي - سراس للنشر –تونس- ط. أولي- سنة ١٩٨٥م.

- [ق] -

- قراءات في النص الشعري الحديث -بشري البستاني- دار الكتاب العربي – الجزائر - ط. أولي -سنة ٢٠٠٢م.
- قضايا الفلسفة العامة ومباحثها -علي عبد المعطي محمد- ط. دار المعرفة الجامعية -الإسكندرية - سنة ١٩٨٤م.
- القول الشعري من منظورات معاصرة – رجاء عيد -منشأة المعارف - مصر -ط. أولي- سنة ١٩٩٥م.

- [ل] -

- لغة الشعر العربي الحديث - مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية – السعيد الورقي - ط. دار المعرفة الجامعية- سنة ٢٠٠٢م.
- لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث - د.رجاء عيد -منشأة المعارف – مصر- ط. أولي -سنة ١٩٨٥م .

- [م] -

- محاورات عقل في الأدب والثقافة - عبد الكريم أبو خشان وآخرون- بيت الشعر -رام الله - سنة ١٩٩٩م.

- في الشعر العربي الجزائر نموذجًا - د. إبراهيم رماني - الهيئة العامة للكتاب – مصر- ط. أولي- سنة ١٩٩٧م.
- مراوغة النص -حسين حمزة - ط. دار الشرق فلسطين - ط. أولي- سنة ٢٠٠١م
- المرايا المقعرة نحو نظرية عربية نقدية - د. عبد العزيز حمودة - ط. المجلس الوطني للثقافة – الكويت- سنة ٢٠٠١م.
- مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث- بسام قطوس - مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع – إربد – الأردن – سنة ٢٠٠٠ م.
- المكان ظاهرة في ديوان أغنيات الوطن للشاعر قاسم أبو عين قراءة نقدية- حسن الربابعة - ط. أولي - المركز القومي للنشر - الأردن - سنة ١٩٩٩م.
- المكان في الفن محمد أبو زريعة - مطبعة الغير- عمان- ط سنة ١٩٨٨م.

- [ن] -

- النظرية البنائية في النقد الأدبي- د. صلاح فضل - ط. دار الشرق – مصر- ط. أولي -سنة ١٩٩٨م.
- نظرية المكان في فلسفة ابن سينا - د. حسن العبيدي - دار الشئون الثقافية العامة - مصر.

- [ه] -

- الهم القومي في القصيدة الأردنية المعاصرة - طارق عبد القادر المجالي - وزارة الثقافة - عمان -ط. أولي- سنة ٢٠٠١م .

ثالثا: ا(لمعاجم العربية)

- تاج العروس من جواهر القاموس- الزبيدي - تحقيق د. حسين نصار ، طبعة حكومة الكويت سنة ١٩٧٤م
- لسان العرب- ابن منظور -ط. دار صادر- بيروت.

رابعا: (المخطوطات)

- جماليات المكان في روايات عبد الرحمن منيف- مرشد أحمد - رسالة ماجستير - مخطوطة جامعة حلب السورية - سنة ١٩٩٢م
- الغموض في الشعر الحديث - إبراهيم رماني - رسالة ماجستير - جامعة الجزائر- سنة ١٩٨٧م
- المكان في النص الشعري عن سعدي يوسف وعز الدين المناصرة - فتحية كحلوش - رسالة ماجستير - مخطوطة جامعة قسطنطينة -سنة ١٩٧٧م.

خامسا: (الدوريات)

- " أنا شاعر تحاصره النساء " حوار أجرته كريمة الحبوري ، مجلة الراية القطرية سنة ٢٠٠٨م.
- بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة – خليل موسي – مجلة الموقف الأدبي ، عدد ٣٣٦ نيسان سنة ١٩٩٦م.
- التفاعل التراثي الأدبي بين المرئي والمنطوق والمكتوب ، ماري تريز عبد المسيح ، مجلة الطريق – عدد ٣ ، ٤ – سنة ٢٠٠٣م.
- جدل الزمان والمكان في روايات عبد الرحمن منيف – د. أحمد مرشد – مجلة بحوث جامعة حلب – عدد ٢٢ – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية- سنة ١٩٩٢م.
- الفنان المكان والذات والآخر – محمد أبو زريق – مجلة أفكار – عدد ١٣٥- ١٣٧ ، سنة ١٩٩٩م
- ماهية المكان لدي شعراء الجنوب – عبد الرحمن حمادي – مجلة الباحث – عدد الثاني والثالث والعشرون – السنة الرابعة سنة ١٩٩٨م.
- مشكلة المكان الفني يوري لوثمان – ترجمة سيزا قاسم – العدد ٦ – مجلة ألف.
- المكان اليأس والفن الروائي – بهاء طاهر – حوار في مجلة الطريق – عدد ٣ ، ٤ سنة ٢٠٠٣م
- نماذج من الشعر الجزائري المعاصر – منشورات مجلة آمال – ج٣ – الجزائر.

- الوعي بالمكان ودلالاته شاكر عبد الحميد – مجلة فصول – مجلد ٩ – عدد ١ ، ٢ ، سنة ١٩٩٠م
- الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري – شاكر عبد الحميد – مجلة فصول – م٣ – عدد ٤ سنة ١٩٩٥م